عبد الباقي يوسف

ما تَزالُ فِي الحياةِ بقيَّةٌ

روايـــة

الفصل الأول

(الدفتر)

أنزلت رَوعة حقيبةً قديمةً حمراء اللون كانت مستقرّة فوق خزانة الثياب، تحتفظ فيها ببعض أوراقها القديمة مثل وثائق مراحل الدراسة، وبعض المراسلات بينها وبين صديقاتها، وبعض الصور، أنزلتها كي تضيف إليها بعض الصور الجديدة ووثيقة دخول ابنها رامي إلى الحضانة.

ألقت نظرةً إلى محتويات الحقيبة، وقعت عيناها على دفتر متوسّط الحجم يقع في مئتَي صفحة، كانت قد دوَّنت فيه بعض الخواطر والقصص القصيرة قبل الزواج.
حملت الدفتر، أبقته بين يدَيها للحظات وهي تنظر إليه، قلبت عدَّة صفحات منه، قرأت بعض الجُمَل لا على التعيين وهي تسترجع تلك الطقوس التي كانت تعيشها في البَيت، تلك الأفكار التي كانت تُراودها وهي صبيَّة.
بعد أن فرغت من تقليب الصَّفحات، وضَعَته جانباً، سحبت رأس السحاب الطويل للحقيبة، أغلقتها كما كانت، ثم أعادتها إلى موضعها فوق الخزانة. وضعت الدفتر على الأريكة

واتَّجهَت إلى المَطبخ، مَدَّت يدها إلى ركوةِ القَهوة وذهنُها شارِدٌ بالدَّفتَر.
أعدَّت فنجاناً مِن القهوة المغليَّة بشكلٍ جيّدٍ، وعادَت إلى مجلِسها تتلذَّذ برشف القهوة الساخِنة التي تفوحُ بِرائِحة الهيل.
بعد لحظاتٍ أحسَّت بأنَّها تُريد أن تفعل شيئاً ما دون أن تعرف ما هو بالضَّبط، امتدَّت يدُها بآليَّةٍ إلى هاتفها الجوَّال وأشغلَت موسيقى المونامور.
في غمرة تلك اللحظات، راودتها رغبةٌ في تدخين سيجارة وهي ما تزال تشعر بأنَّها تُريد أن تفعل شيئاً دون أن تدري ماهو، فنهضت كرةً أخرى وراحت تسحب سيجارةً من علبة السجائر الموجودة في البيت والتي اعتاد زوجُها أن يدخِّن سيجارةً أو سيجارتيَن منها في بعض الأمسيات وهما يتلذذان باحتساء القهوة، أو في بعض المناسبات بحيث تبقى العلبةُ نحو شهرٍ في البَيت.

بعدما فرغت من احتساء القهوة وتدخين سيجارة، نَهضَتْ وفتحت النافذة، نظرت إلى الشارع، وهي مُضطَّربة ومشتَّتة الذهن كما لو أن قنبلةً موقوتةً في صدرها على وشك في أيّ لحظة.

عادَت مُسرِعةً إلى المطبخ وهي تُريد أن تفعلَ شيئاً، لكن لا تَدري ما هو، وبغتةً هَرولَت إلى الشارِع لعلَّها تتخلَّص مِن ذاك الشعور الذي استبدَّ بِها عندما حَمَلَت الدَفتر وتصفَّحَته.
مشت على الرصيف، ابتعدت عن البيت، رأت جارتها (هَناء) عائدةً من سوق الخضار القريب تسحب خلفها عربة صغيرة وضعت فيها ما ابتاعته من مستلزمات: طيفك جارتي رَوعة.. خير إن شاء الله..؟
قالت: تمام.. لا شيء.. فقط بعض رياضة المشي.
هزَّت رأسها واستأنفت المسير نحو البيت.
انزوَت رَوعة في ركنٍ، أغمضت عينَيها مُحاولةً أن تستردَّ هدوءها، لكن دون جَدوى، فعادَت أدراجها إلى البَيت ودمُها يغلي في عروقِها: هل يمكن أن يكون الدفتر هو السبب؟
قالت هذه العِبارة في سرّها وهي تمدّ خطواتها إلى البيت؟.
رَمَقَت السَّاعة، أدركت أن دوام زوجها في مديرية التَّموين سوف ينتهي بعد نحو ساعتَين ونصف، ثم تذكَّرَت بأن الغداء جاهز لأنَّ وجبة المحاشي التي طَبَخَتها البارحة، بقي منها ما يكفي غداء اليوم.
جلست على الأريكة، مدَّت يدها إلى الدَفتر، أحسَّت بنسمةٍ مِن الهدوء تتسرَّب إلى أوصالِها. جلبت قلماً وشرعت تكتب ما يجول في خاطرها على ذات الدفتر، استغرقت في الكتابة دون أن تعلم بمرور الوقت لولا دخول ابنُها رامي عائِداً مِن

الحَضانة. تركت القلم بين الدفتر وأغلقته، قبَّلَت ابنها، جلبت له قطعة كيك مع كأسٍ مِن العَصير، وعادَت إلى الكِتابة حتى أحسَّت بأنها أفرغَت ما كانَت مشحونةً به.
أغمضَت عينيها في حالة استرخاء حتى تناهى رنينُ هاتِفها، رأت اسم زوجها يتلألأ على الشاشة.
فتحت الخَط، جاءت نبراتُه المتداخلة مع الضجيج: أنا في طريقي إلى البَيت هل تحتاجين شيئاً من السوق يا رَوعة؟
قالت: لا يا عبد السلام، لا شيء.
في تلكَ اللحظات، تذكَّرَت عندما جاء ذات يوم بعد زواجهما بسنةٍ وهو يحمل بيده حلوى، والفرحة بادية على وجهه، قال: حصل اليَوم تحوُلٌ كبيرٌ في عَمَلي الوظيفي يا رَوعة.
قالت: هه.. بشِّرني يا عبد.
هكذا تبدو له طفلة رغم بلوغها الخامسة والعشرين من العمر.
لقد ملأت حياته، وهو لا يتخيَّل بأنه يستطيع الابتعاد عنها يوماً واحداً، لذلك عندما تذهب إلى زيارة أهلها، يوصيها أن تعود حتى لو تأخَّرَت، فيجلبها أخوها (أيمن)المتزوّج والذي يُقيم في ذات الحي، مهما كان الوقتُ متأخِّراً من اللَّيل.
قال وهي تتناول الحلوى من يده: ترفَّعتُ اليوم في الوظيفة من رئيس قسم التفتيش إلى نائب المدير، وبعد يومَين سوفَ يُخصِّصون لي سيَّارةً ومعها سائق.

أشرق وجهُها وهي تقول بفرحةٍ: معقول تكون عندنا سيَّارة يا عبد؟
قال: إي معقول يا رَوعة.
أخرج من جيبه كِتاب الترفّع، مدَّه إليها، فتناوَلَته بلهفةٍ، قالَت وهي تقرأه: ألف مبروك، إن شاء الله تترفَّع لوزير.
ضحك وقال: وزير دفعة واحدة يا رَوعة.
قالت: تستحقّ، وأيضاً تستحقّ أن تكون.. فوضع يده على فمها حتى لا تكمل قائِلاً: الوزير يكفي.
قالت وقد أبعدت كفَّه: وكمان رئيس الوزراء.
قال: لا يشطح بكِ الخيال، لو ترفَّعتُ لمدير التموين قبل التقاعد، سيكون كافياً.

* * *

أدركَت وهي على مائِدة الطَّعام كم أنَّها تشعرُ بأُنسٍ حين يكون قريباً مِنها، نظرت إليه يتناوَل الطَّعام بشهيَّةٍ، نست كل ما كانَ بِها مِن اضطِّراب كما لو أنَّه لم يَكن، قالَت: اليوم وبعد كل تلك السنوات الطويلة، كتبتُ قصَّةً قَصيرةً يا عبد السَّلام.
نظر إليها وهو يمضغ الطعام، تذكَّر الدفتر الذي جَلَبته معها عند الزواج، وعندما ذهبا لقضاء عدَّة أيامٍ عسليةٍ في إحدى المدن الجميلة، تحدَّث له عن كتابتها للقِصَص القَصيرة،

شرحت له مضامين بعض ما كتَبَت. وبعد عودتهما بنحو ستّة أشهر، ذات يومٍ بينما كان جالِساً في البيت يحتسي شاي ما بعد القيلولة، تقدَّمَت إليه وبيدها الدفتر وطلبت منه أن يقرأ تلك القصص.

تناوَل الدفتر من يدِها وشرع يقرأ وهي جالسة تنظر إليه، وبين فينةٍ وأخرى تنظر إلى القِصَّة التي وصلها، وأحياناً تُقاطِعه لتشرح له مناسبة كتابتها لتلك القِصَّة.
فيهزُّ رأسه ويزمّ شفتَيه وهو يستأنف القراءة، وبعد نحو ساعَتَين مِن القِراءة، عندما رأته يُقلِّب الصفحة الأخيرة من الدفتر، قالت له بلهفةٍ: ما رأيك يا أبا رامي، ألا تستحق زوجتُك أن تكون كاتبة مشهورة؟
نظر إليها دون أن يجيب، فكرَّرَت كلامها، عند ذاك بلع ريقه وقال كما لو أنه يريد أن يُخرج نفسه من مأزق: أجمل ما في هذه القِصَص أنها كُتِبَت بعفوية. وبعد قليلٍ من الصمت أردف: فيها صدقٌ في التعبير.
قالت: لولا مسؤوليَّة الزواج لكنتُ الآن كاتبة مشهورة ولي مؤلَّفات منتشرة في المكتبات، وكنتُ بين شهرٍ وآخر أتنقَّل من دَولةٍ إلى أُخرى وأنا ألبّي الدعوات التي تصلُني للمشاركة في المهرجانات والملتقيات الأدبيَّة.

بعد يومَين، وبينما كانت تجلي الأواني في المطبخ، تناهى إلى سمعها رنينُ هاتِفها، فلم تدع ما بيدَيها حتى توقَّف الرَّنين، ثم ما لبث أن عاد الرنينُ مرَّةً أُخرى، غسلَت يدَيها من رغوة سائل الجلي وجفَّفَتهما على عجل، راحت صوب جِهاز الهاتف، فتحت الخط دون أن تنظر إلى الشاشة. ترامى إلى سمعها صوت جارتها (هَناء) التي تقطن في الشقة المقابِلة لشقَّتها في البناء ذاته: اليوم عندي صديقة عزيزة، تعالي وشاركينا شرب القَهوة.
تسلمي يا هَناء. قالتها وما لبثت أن هاتفَت زوجها، أخبَرَته بأنَّها ستمضي نحو نصف ساعة في بيت جارتها هَناء.

نزعت المئزر وخرجت، مدَّت سبابتها إلى جرس الباب، تَناهَت إلى سمعها قهقهةٌ مجلجلةٌ مِن الداخل، تردَّدَت قليلاً والقهقهة النِسائية ترتفع. ضغطَت على الجرس، بعد لحظاتٍ فتحت جارتُها البابَ، رحَّبَت بها والقهقهة ما تزال متواصلة بإيقاعها المرتفع من المرأة التي كانت جالسة على الأريكة تُدخِّن سيجارة.
عندما تقدَّمت رَوعة إليها، وثبت المرأةُ بنشاطٍ وحيويّةٍ كما لو أنَّها لاعِبة جمباز، كانت حنطيَّة البشرة، متوسِّطة الطول في قامتها، شعرها أسودٌ طويل، على خدِّها شامة بحجم حبَّة عَدَس بارِزة بعض الشيء، قريبة إلى اليمين من الأنف.

قالَت هَناء وهي تُقدِّمها إلى جارتِها: هذه غيثاء، صديقتي الحميمة وجارتي قبل أن أتزوَّج، وزميلتي في المدرسة وكاتِمة أسراري، كبرنا معاً في حيٍّ واحد.
تبادلت رَوعة معها القبلات، وفي أثناء ذلك أردفت هناء تقول: اليوم ذهب أمير إلى العاصِمة بمهمَّةٍ لعملِه في دائِرة السجل المدني، فاتَّصَلتُ مع صديقتي غيثاء كي تأتي وتسلِّيني حتى الغد، إذا لديكِ المجال تعالي واسهري معنا اللَّيلة، غيثاء ستتحدَّث لنا عن ذكريات الطفولة في الحارة. ثم أضافَت: وهي تُجيد الرقص الشرقي بشكلٍ مُذهلٍ وسوف ترقص الليلة.
عند ذاك قهقهَت غيثاء وقالت: أنا جاهزة يا قلبي.
قالت هَناء: هذه جارتي وصديقتي رَوعة، طيبة وحنونة، كانَت تكتب القِصَص القَصيرة، ولكنَّها تَركَت الكِتابة بعد أن تزوَّجَت.
ثم قالت بابتسامةٍ: كان جارنا عبد السلام مقيماً لوحده في هذه الشقَّة التي اشتراها من أجل أن يسكن في المدينة بسبب وظيفته في مُديريَّة التموين، وهو معروفٌ بأنَّه أطوَل رجل في الحي.
عندها ابتسمَت رَوعة وقالت: وأنتِ الصادِقة، هو أطوَّل رجل في المدينة كلّها، لم يسبق لي أن رأيتُ رجلاً أطول منه، في كل الأماكن التي ذهبنا إليها معاً.

ضحكت هَناء وقالَت: الشيء بالشيء يُذكَر، عندما أراكُما في الطريق وأنتِ لا تتجاوزين نصف طوله، يخطر في بالي بأنَّه كيف ينام معك؟.
قالَت رَوعة وهي تهزّ منكبَيها: كما ينام زوجكِ معكِ عزيزتي.
فتعالَت ضحكات الثلاثة.
قالَت غيثاء: تشرَّفتُ بكِ، أكيد صديقات هَناء مثلها طيّبات.
قالت رَوعة: لي الشرف، هَناء جارة وصديقة غالية.
قالت غيثاء: هي تزوَّجَت وتركت الحارة، وأنا بقيت في الحارة ولم أتزوَّج، لكن بقيت العلاقة مستمرَّة بيننا.

مع تناول القهوة والكيك، قالت هَناء: غيثاء رفضت كل الذين تقدَّموا لها للزواج، تقول بأنَّها لن تتزوَّج إلّا إذا رأت الرجل الذي رَسَمَته في مخيّلتِها.
علَّقت رَوعة قائلةً: هذا الرجل غير موجود، لكن مع العشرة تتعلَّق المرأة بزوجِها، وتمضي الحياة الزوجيَّة بأيامها الحلوة والمرَّة.
قالت هَناء: اقنعيها عزيزتي حتى تتزوَّج وأرتاح من همّها، ثم التفتت إلى غيثاء وقالَت: أنا وأنتِ في عمرٍ واحدٍ يا صديقتي، يعني تجاوزتِ الثلاثين والسنوات تمضي بسرعة، يكفي حتى الآن.

قالَت رَوعة: التأخير لن يكون لصالِحكِ عزيزتي.
قالَت: هل تظنِّين بأن الحياة الزوجيَّة للمرأة أفضل مِن العزوبيَّة؟
قالَت: للعزوبيَّة حرّيتها ومغامراتها، وللزواج انضباطه وسَكينته، لكن بكل الأحوال ليس للمرأة سوى زوجها وعائلتها.
هزَّت غيثاء رأسها، وقالت: هل تنشرين قصصكِ في صفحتك على الفيسبوك؟
قالت: لا يوجد لدينا إنترنت، زوجي لا يحبّه، لدينا فقط تلفاز نعرف منه بعض الأخبار ونتابع بعض المسلسلات والبرامج.
قالت: عن طريق الإنترنت حبيبتي، تصل كتاباتك للناس وتصبحين كاتبة مشهورة، تصلك دعوات للكتابة في صحفٍ ومجلّات، وإذا شاركتِ في المسابقات، يمكن أن تفوزي وتتلقَّين دعوة لحضور حفل استلام جائزتك، هذا كلّه يستَحيل في وقتنا الحالي دون وجود الإنترنت.

ألقت رَوعة نظرةً إلى ساعة الحائط، أدركت بأن الوقت قَد حان كي تُحضِّر الغداء، فنهضت مستأذنةً وهي تقول لغيثاء بأنَّها تشرَّفَت بِمَعرِفَتِها.
قالت هَناء: ننتظرك يا قلبي في المساء حتى نسهر سهرة حلوة ونستعيد طقوس أيام العزوبيَّة.

نظرت إلى غيثاء ولا تدري في تلك اللحظة لماذا أحسَّت بأنَّها حسَدَتها على الحريَّة التي تتمتَّع بها، تذكَّرت أيام كانت في بيت أهلِها، كانت تشعر بأن الحياة كلّها مفتوحة أمامها، لكن بعد أن تزوَّجَت، أخذ كل شيءٍ يتغيَّر بشكلٍ متدرّجٍ مع الزواج، بدأت تُدرك وتعيش يوماً بعد يوم معنى التحوّل من فتاة، إلى امرأة متزوِّجة، ثم إلى أمّ.

الآن كل شيءٍ تغيَّر، عندما كان أخوها في البَيت يتدخَّل أحياناً في شأنٍ من شؤونِها، كانت تشكوه لأبيها الذي كان يوقِفه عند حدّه ويقول: هذه ابنتي وأنا أعرف كيف ربيَّتها مثلما ربَّيتك يا ولد.
الآن هناك رجلٌ واحدٌ هو زوجُها، يأمرها فتستجيب، ولا تستطيع أن تتصرَّف بشيءٍ دونَ أن تستأذِنه.
اكتشَفَتْ الخِلاف الكبير بين الرَّجل الأب والرَّجل الزوج، اكتشَفَت بأنَّ لا أحد يمكن له أن يكون للمرأة أقرب من أبيها، إنَّه القوَّة الحقيقيَّة التي تستند إليها، والتي لا تخاف للحظةٍ واحدةٍ أن تخذلها أو تنقلب عليها، لكن الزَّوج مهما كان قويّاً ومهما كانت مُستندةً إليه، فبتصرُّفٍ حتى وإن لم يكن مقصوداً، قد يثور فتخسره وتنقلب قوَّته ضدّها حتى تنهار.
دوماً يبقى يلاحقها شبح انهيار عائلتها إذا أخطأت، لذلك تحتمل على مضض خسارة الحريَّة التي كانت فيها، تُقنع

نفسها بأن التَّعويض أتى في الاستقرار العاطفي، والزَّوجِ، والأمومةِ، وتكوينِ عائلة، وفتحِ بَيت.

اغرورَقَت عيناها بالدموع، قالت وهي تبلع ريقها عن غصَّة بكاء: إذا كانت ظروفي مناسبة أكيد سأحضر.
قالت غيثاء: يسرّني أن أقرأ قصصكِ حبيبتي، وأبدي ملاحظاتي عليها.
قالَت هَناء: نسيتُ أن أقول لكِ بأنَّ غيثاء هي مُدرِّسة لغة عربيَّة.
قالَت: من حسن حظّي، سأستفيد من ملاحظاتكِ اللغويَّة توقَّفت قليلاً واستطردت تقول: لحظات وأجلب الدفتر في حال تعذَّر مجيئي مساءً.
قالت غيثاء: إي حبيبتي، بانتظاركِ.

خرجَت متَّجهةً إلى بيتها، سحَبَت الدَفتَر وأتَت به، دخَلَت دون أن تطرق الباب الذي كانَ مواراباً بانتظارِها، مدَّت الدَفتر إلى غيثاء قائِلةً: تَفضَّلي حبيبتي.
قالت غيثاء وهي تتناوَل الدَفتر: هل توجد عندكِ نسخة منه؟
قالت: لا.

أخرجت غيثاء هاتفها من حقيبتِها، صوَّرت قصّة وقالت بأنَّها إذا لا تُمانِع، سوف تنشرها على صفحتِها في الفيسبوك وتطلب آراء القرّاء.
قالت رَوعة: هذا يُسعدني وأشكرك على هذه البادرة.
قالت غيثاء وهي تُعيد لها الدَفتر: إذا أخذته أخاف أن يضيع منّي، ولا توجَد لديكِ نسخة أُخرى، حافظي عليه، وصوّري منه نسخة في هاتفك للاحتياط، سوف أقوم بنقل القصَّة إلى الحاسوب عندي في البيت، أدقّقها لغوياً وأنشرها على صفحَتي.

باشرَت في إعداد وجبة الغداء المُكوَّنة من المعكرونة والعدس فور وصولِها إلى البَيت، وهي تحلم فيما لو استطاعَت أن تشاركهما السهر اللَّيلة.
عندما عاد زوجُها مِن عمله، وبعد تناول الغداء، قال لها: ما أخبار جارتنا هَناء؟.
قالَت: بخَير وتبلغكَ السَّلام. بعد قليلٍ أردَفَت تقول: زوجها اليوم ذهب إلى العاصِمة في مهمة عمل.
قال: أمير رجلٌ خَدوم، تَذكرين عندما ولِدَ رامي، جاءَ وأخذ دفتر العائِلة، سجّله فيه وأراحني من عناء التسجيل.
قالَت: إذا أذنتَ لي يا عَبد سأذهب إليها مساء اليوم وأمضي معها ساعة.

قال: ذهبتِ إليها في الظهيرة، وهذا يكفي، لا أريد أن تخرجي في الليل مِن بيتكِ يا رَوعة.
أدركتْ من لهجته بأنَّه اتَّخَذَ الموقف الحاسم، ولن يتراجع عنه مهما حصل، فخضعت لذلك ونسيت الأمر.

* * *

بعد مرور شهرٍ، اتَّصَلَت بِها جارتها هَناء في الهاتف، وقالَت بأن غيثاء أخبَرَتها بأنها نشرت القصَّة في الفيسبوك، وأن مجلّةً إلكترونية اسمها (مجلة 24 ساعة الإلكترونية) طلبت أن تنشرها في عددها القادم لقاء مكافأة مالية، وفي حال موافقتها، سوف تُخبر المجلة كي تنشرها.
قالت: أكيد عزيزتي موافقة، واشكريها نيابةً عنِّي.
أغلقَت الخط، وقَد غمرها الفرح لِما سمعت، رأت بأن العلاقات ضروريَّة حتى توصِل نتاجاتِها إلى القرّاء ويكون لها شأن في مجال كتابة القصة القصيرة. خطر لها بأن تلك المجلَّة يمكن لها أن تستمر في نشر ما تكتبه مِن قِصَص قَصيرة، وبذلك تُحقِّق دخلاً لعائلتها، وكذلك قد تجمع المجلَّة تلك القِصص في المستقبل وتنشرها في كتاب.

عندما رقدَ زوجُها وغدا يُصدِر شخيراً كعادته، لبثتْ ساهرةً على سريرِهما الزَوجي وهي تُفكِّر بِما قالَته لها غيثاء، تتخيَّل مرحلةً جديدةً من حياتِها، مرحلة الأضواء والشهرة والسفر والمجد الأدبي. دَهَمتها حالة من الاضطِّراب، ذات الاضطِّراب الذي استبدَّ بِها منذ أيَّامٍ عندما كان زوجُها في عمله.
أغمَضَت عينَيها في مُحاولةٍ للنَّوم، بَيدَ أنَّ الاضطراب أخذ يتصاعَد تماماً كما كان يتصاعَد في المرَّة السابِقة.
نهَضَت من الفِراش بتُؤدَةٍ كي لا توقظ زوجها، مَشَت إلى الصالون تترنَّح تحت سَطوة الاضطِّراب، فتحَت النافِذة، نظرتْ إلى سكون الليل لعلَّها تهدأ، اتَّجَهَت إلى الدفتر ومع مُباشرتها بالكِتابة شعرتْ بارتياحٍ.

أفرَغت ما كان بِداخِلها مِن شحنة الكِتابة وعادت إلى غرفة النوم، فوجئت بزوجَها مُستيقظاً ينظر إليها من الأسفل إلى الأعلى، لا تدري لماذا أحسَّت بشيء مِن الهَلع في تلك اللحظات وهي تنظر إلى نظراتِه إليها، قالت بخفوتٍ: متى استَيقَظت؟
أغمضَ عينَيه وقال: عندما خرجتِ مِن الغُرفة.
استلقَت إلى جانِبه، شردت بنظراتِه الغريبة إليها حتى غَلَبها النُّعاس.

في صباح اليوم التالي وعندما ذهب زوجُها إلى وظيفته، استرجعت ما قالَته لها جارتُها هَناء عَن نشر القصّة في صفحة غيثاء على الفيسبوك، اتَّصلَت بِها ودَعَتها إلى احتساءِ فنجان قهوة، طلبت أن تجلب الهاتف معها حتى تقرأ القصّة في الإنترنت، وتقرأ التعليقات عليهما.

بعد نصف ساعةٍ جاءت هَناء وهاتفها الجوّال بيدِها، تباوَسَتا وعلى الفور راحت رَوعة إلى المطبخ تعدّ القهوة، ثم وضعت على السفرة فنجانَين مع صحنٍ من الكليجة التي صنعتها في الأسبوع الماضي.
قالَت: تشوَّقتُ أن أرى القصّة يا هَناء.
قالَت: أنا قرأتهما، وقرأتُ التعليقات، بصراحة يا رَوعة، التعليقات كانَت مُشجِّعة.
استطردت تقول وهي تضغط على أزرار هاتفها: لديكِ موهِبة جيِّدة في الكِتابة يا جارَتي، أنصحك بعدم إهمالها.
غَمَرتها الدهشة وهي تقرأ لأول مرة كتابةً منشورةً لها، قرأت التعليقات، رأت نفسها أمام عالمٍ مفتوحٍ على بَعضه بَعضاً، تتعرَّف عليه لأوَّل مرَّة، حتى في بيتِ أهلها عندما كانت عازبة لم تكن تهتم بالإنترنت، كانت تعتبر بأنه لا يعني لها شيئاً.

لكن الآن مع هذه التجربة، راودها إحساسٌ بأهمَّية وجوده في حياتِها حتى تتمكَّن من إيصال كتاباتها للقُرّاء، وقَد تُصبح كاتبة مشهورة.

* * *

في المساء وهما يستلقيان على السَّرير الزوجي قالَت لزوجِها:
صار الإنترنت مهمّاً في الحياة يا عبد السلام.
قال: كذلك مضيعة للوقت بالنِسبة للكَثيرين.
قالَت: إذا خصَّصنا له وَقتاً مُحدَّداً لهدفٍ مُعيَّنٍ، لن يكونَ مَضيعةً للوقت.
قال وهو مستلقٍ على ظهره ينظر إلى السقف: ماذا تقصدين؟
قالَت: أريد أن تضع خَطّاً للإنترنت في هاتفي.
استدار إلى الجهة الأخرى، أولاها ظهره وقال: وضعنا المالي لا يحتمل يا رَوعة، تعرفين كيفَ أنَّنا نحرم أنفسنا حتى مِن بعض الأساسيّات لأنّ الراتب لا يكفي ولا يوجد لدي دخل غَيره.

بَعد نحو خمس دقائق مِن صمتٍ خيَّمَ عليهما، استدار إليها وقال: أنا الآن معك يا حبيبتي وأنتِ معي، عندما يأتي

الإنترنت، سيكون كل واحدٍ منّا بعيداً عن الآخر وهو مستغرق بالنظر في هاتفه حتى لو كنّا نجلس بجانب بعضنا على أريكةٍ واحدة. هذا ما أراه في بعض البيوت التي أزورها، ومنها بيوت الأقرباء.

صمتت دون أن تلح في مطلبِها، لكن ذلك لم يكن كل شيء، فبعد نحو شهرٍ اتَّصلَت بها جارتُها هَناء وقالت بأن غيثاء تريد صورة عن هويتها حتى ترسلها إلى الموقع كي يحوّلوا لها استحقاقها المالي عن نشر القصّة.

مرة أخرى أحسَّت مدى حاجتها إلى وجود الإنترنت، فلو كان متوفّراً لديها، لأرسلت الصورة حالاً.

أخرَجَت الهويَّة وأخَذَتها إلى جارتها هَناء،

قبَّلَتها هَناء وقالَت: ألف مبروك جارتي العَزيزة، أرى أنَّكِ ستُصبحين أديبة مشهورة، لكن لا تنسي بأنَّ انطلاقتكِ إلى عالَم الشُهرة بدأت مِن بَيتي.

قالَت: أكيد لن أنسى يا جارتي العَزيزة.

التقطت صورة لبطاقتها الشخصيَّة وأرسلتها مع رقم الهاتف إلى غيثاء وهي تقول: عندما تصل المكافأة أريد الحلوان.

قالَت: تكرمي يا جارتي.

الفصل الثاني

(مكافأة مالية)

عندما رنَّ هاتف روعة ورأت بأن الرَّقم مجهول، تردَّدَت مِن فتح الخَطّ وقول كلمة: ألو.
هكذا تعلَّمَت بأنَّ صوتَ المرأة حتى في الهاتف يمكن أن يجلب عليها كارِثة ويُدمِّر حياتها.
توقَّفَ الرَنين، وبعد نحو نصف ساعةٍ أجفلها مرَّةً أُخرى، إنّه ذات الرَّقم، ولبثت متردّدة، ثم توقَّف الرَّنين بغتةً، واكتنفه صَمت، وهي تنظر إليه وتتوقَّع أن يرنَّ ويُفزِعها مرَّة أُخرى.

في اليوم التالي طَرَقَت عليها جارتها هَناء الباب، وعندما فتحت، قالَت لها على الفَور: مبروك، بدنا حلوان.
قالَت: خير يا هَناء؟
قالَت: مكافأتكِ عَن القصّة المنشورة وصلت.
قالَت: صحيح، أين؟

فتحت هاتفها، وقالت: الآن أخبَرَتني غيثاء بأن الموقع أرسل لها رقم الشركة التي ستستلمين منها الحوالة، هذا هو الرَّقم يا جارَتي، وسوف تتصل بكِ الشَرِكة حتى تُخبركِ بوصولِها.
تذكَّرت اتصال البارحة من الرَّقم المجهول، فنظرت إلى هاتفها، ورأت بأنه ذات الرَّقم الموجود عند هَناء.
عند ذاك قالت: جاءني اتِّصال البارحة من هذا الرَّقم لكن لم أرد لأنّه كان مجهولاً.
ابتسَمَت هَناء وقالَت: والله معك حق يا جارَتي، كوني حَذِرة مِن الردّ على أيِّ رقمٍ مجهول. ثم أردفَت تقول: حتى أنا لا أردّ على الأرقام المجهولة التي تردني.

عند ذاك اتَّصلت رَوعة بالرَّقم، وسألَت عن حوالة باسمها، فقالَت لها الموظَّفة بأنَّها مَوجودة.

في تلك اللحظات، سرت نشوة في عروقِها وهي المرَّة الأولى التي تحصل فيها على مالٍ من جهدِها.
أحسَّت بلذَةٍ لم تدركها من قبل، لكن في الوقت نفسه غدت تُفكِّر كيف ستُخبر زوجها، وما الذي ستفعله بمبلغ الحوالة؟
وبعد قليل، خَطَرَ لها أن تشتري له بذلةً رسميَّةً جديدة، ولابنها لعبة، وتَذَكَّرَت أنها ذات يومٍ رأت في السّوق فستاناً ورغبت

في شرائه، لكنَّها لم ترد أن تثقل على زوجها. فقالت في سِرِّها: الآن يمكن لي أن أشتَريه.

عندما عاد زوجُها من العمل، لم تُخبره، ولبثت على قلق حتى المساء، وعند ذاك أعدَّت فنجانَين من القهوة، وجاءت تجلس بجواره على الأريكة. وبعد قليلٍ قالت: عبد..
نظر إليها وهزَّ رأسه..
قالَت وقد بداعليها الإرباك: لك عندي مفاجأة.
رشف رشفةً من الفنجان، ثم نظر إليها..
قالَت: تعرف بأن زوجتك قاصَّة..
هزَّ رأسه، وأشعل سيجارةً وصار ينفث الدُخانَ في الأجواء متمتماً: أكيد.
استأنفَت تقول: أتذكر يوم استأذنتك كي أزور جارتنا هَناء في البيت؟
قال: إي، وما هي المُفاجأة؟
قالت: يومها كانت عندها صديقة قديمة لها وأخذتْ مني قصّة، وقالت بأنها سوف تنشرها في الفيسبوك.
وبعد لحظاتٍ من الصمت أردفت تقول وهي تنظر إليه: إحدى المجلات الالكترونية نشرت القِصّة في موقعها، وأرسلت لي مكافأة.
مطَّ حاجِبَيه وهو ينظر إليها بإمعان.

قالَت: ومكتب الحوالات اتصل بي اليوم حتى أذهب وأستلمها.
وضع زنده من الخلف وأسندَ رأسه به وراح ينظر إلى السقف، وهي تنظر إليه بإرباكٍ وتنتظر ما الذي سيبدر منه.
وبعد نحو خمس دقائق، عدَّل في جلسته، وأشعل سيجارةً جديدةً، ثم حمل الفنجان مع صحنه ورشف آخر ما تبَقَّى في قعره، وعاد ينفث الدخان في الأجواء دون أن ينبس ببنت شفة.
ساد صمتٌ وهي ترمقه بين لحظةٍ وأخرى منتظرةً بلهفةٍ ما سيقول، وبعد نحو عشر دقائِق تناهت نبرات صوته: هل توجد لدينا فاكِهة؟
قالت: يوجد تفّاح أخضر.
هزَّ رأسه بالإيجاب، فنهضت إلى المطبخ، قطَّعَت تفّاحةً كبيرةً الحجم وعادت تضع الصحن أمامه على المائدة.
شكرها، وبعد لحظاتٍ حمل الصحن بتؤدَةٍ، نظر بشهيَّةٍ إلى التفاح الأخضَر، وما لبث أن حمل الشوكة باليد الأخرى، وصار يستمتع بتناول الشرائح اللذيذة.
مضت عدَّة دقائق وهو يغرز الشوكة في الشرائح، ويستمتع بمضغِها حتى أنَّها اشتهت أن تأكل رغم ما هي به من انتظار لِما سيبدر منه بشأن التحوّل الجديد الذي طرأ على حياتِها من خلال نشر قصّة لأوَّل مرةٍ لَها.
في تلك اللحظات وهي تنظر إليه، بدت كما لو أنَّها تأكل معه، وأحسَّت بأن لسانها غدا يُصدر لُعاباً يحمل طعم ما تشتهيه،

فصارَت تُحرّك فمها بحركةٍ تلقائيَّة كما لو أنَّها تستنكه بمضغ شرائح التُفَّاح بالفعل، وصار لسانُها يفرز المزيد من اللعاب وهي تمضغ كما لو أنه ليس لُعاباً، بل ما يسيل من الشرائح الطازجة الشهيَّة وهي تمضغها.
عندما انتهى من تناول التفَّاحة، أعاد الصحن الفارغ إلى المائِدة، ثم تثاءب للحظات، وما لبث أن نهض باسترخاء متَّجِهاً إلى غرفة النوم، فلحقته وتمدَّدَت إلى جانِبه وهي ما تزال تنتظر ما سيقول. وعندما رأته يغمض عينَيه، مدَّت يدها وداعَبت شعره وتمتمَت: عبد..
فتحَ عينَيه ونَظَرَ إليها، فأردَفَت: أريد أن أنزل معك صباح الغد حتى أستلم الحوالة، ما رأيك؟
انتظرت ردَّه، وبعد قليلٍ رأته يهزّ رأسه علامةً بالإيجاب.
عند ذاك دهمتها نشوةٌ وراحَت تُقبّله على خدَّيه، واستأنَفَت: بهذه المناسبة، سوفَ أشتري بمبلغ الحوالة بعض الحاجات لك ولرامي ولي.
هزَّ رأسه مرةً أخرى بالإيجاب، وعاد إلى غلق عينَيه، فلم تشأ أن تزيد شيئاً وقد أحسَّت بأنَّها ظَفَرَت بِما تُريد.

* * *

في صباح اليوم التالي، وبعد أن ذهب رامي إلى الروضة، ارتدت ثيابها وخَرَجَت معه وقالَت وهما في السيَّارة: سوف أشتري الاحتياجات وأتَّصل بكَ كي تُعيدَني.
هزَّ رأسه بالإيجاب وهو يسوق، وعندما أوصلها إلى مكتب الحَوالات، قال: لا تتأخَّري، الطقس حارٌ اليوم.
ابتسَمت وهي تنظر إليه وقالَت: خائفٌ عليَّ يا عبد السَّلام؟
قال: وهل في حياتي غيركِ يا أم رامي.
وفجأة قبَّلَته وقالَت وهي تنزل: لا شيء لأحدٍ عندنا، زوجي وقبَّلته.
ابتسمَ ومضى إلى الدائِرة ملوّحاً لها بيده.
عندما استلمَت مبلغ الحوالة، انتابتها نشوة غريبة، وهي تستلم مبلغاً لقاء عملٍ قامَت بِه، وتَميَّزَت لحظات استلام المبلغ عن كل اللحظات التي استلَمَت فيها المبالغ سواء مِن أبيها، أو مِن أمِّها، أو مِن زوجِها. بل وتميَّزَت حتى عَن لحظات استلام مهرها عندما طلبها عبد السلام للزواج.

مضت غير آبهة بالحرارة التي تجاوزَت الخامسة والأربعين، وهي تبتاع الاحتياجات التي كانت قد سجَّلتها على ورقة، ثم راحَت إلى مطعمٍ، وأخذَت طعاماً جاهِزاً، ومن هناك اتَّصَلَت به كي يأتي ويُعيدها إلى البَيت.

بعد نحو نصف ساعةٍ تقدَّم بسيَّارته، فرآها جالِسةً على كرسيٍّ عند عتبة الباب الخارجي للمطعم، وما إن لَمَحَت السيَّارة تقف بجانب الرَّصيف قبالتها، حتى حملت أغراضها، وفتحَت الباب الأمامي وجلست بجانِبه.
كان وجهها مُحمرّاً وينزّ مِنه العَرق من شدَّة الحرارة، فقالَت وهي تُعرّض وجهها لتكييف السيَّارة: ألا تشمّ رائحة طيّبة يا عبد السَّلام؟
هزَّ رأسه وهو يقود وينظر أمامه، فأردَفَت: اليوم ارتحتُ من الطبخ، جلبتُ بما تبقّى معي من الحوالة نصف كيلو كباب.
لبث يقود دون أن يتكلَّم حتى توقَّفَ بمحاذاة رصيف البيت، فنزلَت وهي توصيه أن يقود على مهل.
دخَلَت البَيت والفرحةُ تغمرها، وتشعر بلذَّة أن تعمل وتقبض النقود، وتساعد زوجها في مستلزمات المعيشة.
بعد قليلٍ مِن وصولِها، حملت علبة الحلوى واتَّجَهَت إلى جارتها هَناء، وأعطتها العلبة قائلة: حلوان بشارتكِ يا جارَتي الغالية.
تناولتها وقالَت: ألف مبروك حبيبتي، إن شاء الله هذه فاتِحة خَير عليكِ، وأراكِ ذات يوم كاتِبة مشهورة.
قالَت: تسلمي يا جارتي الغالية.
ثم ودَّعَتها وعادَت إلى البيت، قَعَدت على الأريكة وصارت تفكِّر بجدِّيَّةٍ لتخصيص وقتٍ للكتابة والنشر.

في المساء وهي مستلقية على السَّرير إلى جانب زوجها، تحدَّثَت معه عَن فكرة عودتها للكِتابة، وقالَت بأنَّ ذلك لن يأتي على حساب واجباتِها المنزليَّة، وجدَّدَت مطلبها السابِق بوضع خطٍّ للإنترنت في جوّالِها، حتى تتواصل مع منابِر النشر.
كانت تتحدَّث بحماسٍ، فهزَّ رأسه بالموافقة، عند ذاك انضمَّت إلى صدره كطفلة وهي تقول: لا أحد لي في العالم غيرك يا أبا رامي، ربي لا يحرمني منك.
وفي اليوم التالي أخذ جوّالها معه وبعد الانتهاء مِن الدوام، اتَّجه إلى محلٍّ للإنترنت وطلب تزويده بشريحة، فأخذ صاحب المحل الجِهاز من يده، وأدخل الشريحة وفعَّلها.
انفَتَحَت رَوعة على عالمٍ جديدٍ مِن خِلال الإنترنت، وصارت بين حينٍ وآخر تتَّصل مع جارتِها هَناء لتسألها عن كيفية استخدام بعض الخدمات.
ثم اتَّصَلَت من خلال الواتس آب مع غيثاء وشَكَرَتها على ما بَذَلته مِن جهد، وأخبرتها بأن المكافأة وَصَلت.

قالَت غيثاء: مبارك يا رَوعة، برأيي أرسلي رسالة شكر إلى رئيس تحرير المجلَّة على نشر القصَّة، وإرسال المكافأة، وقولي له بأنَّكِ مُستعدَّة للكِتابة في المجلَّة.

قالَت: شكراً على النصيحة يا غيثاء، لكن كيف يمكنني أن أقرأ القصَّة منشورة في المجلة؟
قالت: هذه المجلة لها برنامجها الخاص، تصدر في موقعها على شبكة الإنترنت في اليوم الأوَّل من كل شهر، تبقى على الموقع فقط 24 ساعة ثم تختفي. للأسف لم أتمكَّن أنا أيضاً من رؤيتها في الموقع لأنّني كنت ناسية الأمر.
بعد يومَين مِن التفكير، كتبت رسالةً إلى رئيس التحرير تبدي فيها رغبتها واستعدادها لكتابة القصص القصيرة للمجلة وعبَّرَت له عن عميق شكرها وتقديرها على نشر القصّة، وأرسلَتها له بالواتس آب، جاءها الردّ بعد ساعةٍ من رئيس التحرير: قصّتك يا أستاذة رَوعة حملت لمسات إبداعية جديدة، ولقيت استحسان القرّاء، والمجلَّة تُرحّب بنشر إبداعكِ القصصي.
سرَّها هذا الجواب السريع، فلم تتأخَّر وراحت تنقل قصَّةً قَصيرةً من دفترِها إلى الجهاز، وأرسَلَتها له على الفور.
بدأت تُراقب المجلة الشهرية، حتى رأت قصَّتها منشورة في اليوم الأوّل من الشهر القادم، وعند ذاك وصلها إشعارٌ من المجلة بنشر القِصَّة، وطلب إرسال قصَّة أخرى.
نقلَت قصَّة أخرى من الدَفتر إلى جهاز الموبايل وأرسلَتها، ثم اتَّصَلَت مع غيثاء وأخبرتها بهذا المستجدّ.

قالت: ألف مبروك عزيزتي، قصصك تستحق النشر والاحتفاء، لديك موهبة ممتازة يا رَوعة، نصيحتي أن تُحافظي عليها وتعملي على تنميتها.
قالَت: كيف يا غيثاء؟
قالَت: قبل كل شيء، افتحي لك حساباً على الفيسبوك، وانشري فيه صورة عن القصّة المنشورة في الموقع قبل اختفاء العدد، ثم خصّصي وقتاً لقراءة مجموعات قصصيَّة.
قالَت: والله يا غيثاء لا أعرف كيف أفتح حساب الفيسبوك، ثم استأنَفَت تقول: اسمحي لي أن أعزمك اليوم على فنجان قهوة في بيتي.
قالَت: أتشرَّف عزيزتي، بعد العصر سأكون عندك.
قالَت: اتَّفَقنا. وأشارَت لها إلى موقع البيت المقابل لبيت هَناء.
بعد العصر جاءت غَيثاء، فتباوَسَتا، وهي تُرحِّب بِها بِحرارة، وعند جلوسها أخرجت مِن الكيس الذي كان بيدِها، بعض الكتب، وقالَت: هذه بعض المجموعات القصصيَّة جلبتها لكِ هديَّة مِن مكتبتي في البَيت.
فأخذتها رَوعة وصارَت تنظر إلى العناوين، وأسماء الكُتّاب وقالت: تسلمي لي صديقتي الغالية، هذه أجمل هديَّة وجاءت في وقتِها المُناسب، صدقاً يا غيثاء ظروفنا الماليَّة صعبة جدّاً ولا تحتمل أن أشتري الكُتب.

وقبل أن تذهب لإحضار القهوة، اتَّصَلَت بهَناء وقالت: لكِ عندي مُفاجأة سارَّة يا جارَتي، تعالي حالاً.
قالَت: دقائق وأكون عندكِ
وعندما جاءت كانَت رَوعة قَد أحضرت ثلاثة فناجين مِن القهوة، بعد أن أخذت فنجاناً إلى زوجها الذي كان جالِساً مع رامي في غُرفته.
قالَت فور رؤيتها لغيثاء: حقاً مفاجأة رائعة لم أكن أتوقَّعها، ثم التفتت إلى رَوعة وقالَت: يا حرامية، هكذا سرقتِ منّي صديقَتي بعد أن عرَّفتكِ بِها.
قالَت: والله، غَيثاء تستحق أن تُسرَق.
قالَت غيثاء: هذه الجَمعة هي جَمعة الاحتفال والتبريك للقاصّة الصاعِدة رَوعة بمناسبة الخطوات التي خَطَتها على طريق الشهرة والمجد وحقَّقَت فيها النجاح.
قالَت رَوعة: لولاكما لَما حقَّقتُ شيئاً، ولَما خطوتُ بالأصل.
قالَت غيثاء: لديكِ موهبة ممتازة في القَصّ، هل يوجد أحد مِن عائلتك لديه موهِبة الكِتابة؟
قالَت: لا، ولكن أمّي كانَت دوماً تَروي لي قصصاً مِن التراث الشفوي، لديها ذاكِرة عجيبة في الحفظ، فرغم كل تلك القصص التي روتها لي، ما تزال حتى الآن بين فترة وأخرى عندما تزورني أو أزورها، تروي لي بعض القصص التي لم تروها لي مِن قبل.

ثم ابتَسَمَت وقالَت: أحياناً أقول بأنَّها لو لم تكن أمّيَّة لكانَت قاصّة مشهورة.
قالَت غيثاء: أنتِ محظوظة بهكذا أم يا رَوعة، أعتقد بأنّنا لا نحتاج شيئاً في بلادِنا بقدر حاجتنا إلى كُتَّابٍ عُظماء.
قالَت رَوعة: إي عزيزتي، يعني تتوقَّعين لي مستقبلاً في كتابة القصّة؟
قالَت: أنا مُتفائِلة بموهبتك، لكن عليكِ بالمُثابرة، اللغة العربيَّة ليسَت سَهلة يا صديقتي، الكلمة الواحدة لها الكثير مِن المُرادَفات، وهي مرادفات حسّاسة عندما تُستَخدَم في مواضِعها بخبرة، تمنح للنص الأدبي بريقاً، الموهِبة تحتاج إلى صقل دائم مهما تقدَّم الأديب في خبرته ومهما تقدَّم به العُمر.
ثم أردفت تقول: أنا أحب الأدب كثيراً، وحاولتُ أن أكتب، ولكن في النهاية اكتشفتُ بأنّني لا أمتلك موهبة الكِتابة، ومن شدّة ولعي بالأدب، أنشأتُ قناةً لي على اليوتيوب، وصرتُ أسجّل بصوتي القصص والروايات التي تعجبني وأنشرها على القناة، في البداية كان عدد المُتابعين قليلاً، ولكن مع السنوات، وصل العدد الآن إلى خمسين ألف مُتابِع، وبعض التسجيلات التي تُحقّق نسبة جيّدة مِن المشاهدات، تدر عليَّ بمبلغٍ مِن المال بين فترة وأُخرى مِن اليوتيوب.
قالَت رَوعة: أهنِّئكِ من قلبي يا غيثاء، كيف لي أن أستمع إلى تسجيلاتكِ الصوتيَّة؟

تناولَت جهاز الهاتف مِن يدِها، واستغرقت نحو عشر دقائِق، ثم أعادت إليها الجِهاز وقالَت: بعد الآن سوف تصلك إشعارات بتسجيلاتي الجديدة، وأنشأتُ لك صفحةً شخصيَّةً على الفيسبوك، وأنا أوَّل مُعجَبة بصفحتكِ. ثم أخذت جهاز هَناء وسجَّلت إعجاباً وهي تقول: هَناء هي المُعجَبة الثانية بصفحتكِ.
وكخطوةٍ أولى نشرَت على الصفحة رابِط قصَّة منشورة لها في المجلة الالكترونيَّة.
وقالَت: بينَ فترة وأُخرى ضَعي على الصفحة رابط قصَّة تُنشَر لك حتى يطَّلع عليها القرَّاء ويكتبوا آراءهم فيها.

* * *

بعد مرور شهرٍ على ذلك، بدأت رَوعة تتلقّى الطلبات من منابر النشر للمشاركة بنشر نتاجاتِها القصصيَّة الجَديدة، ولكنَّها تعتذر بسبب عدم وجود قصص جديدة، فهي تكتب قصَّة كل شهر وترسلهما للمجلة الالكترونيَّة التي أبرمَت عقداً معها. وأحياناً إذا كتبت أكثر مِن قصّة، تُرسل إلى منبرٍ آخر يكونُ قد وجَّه لها دعوةً للكِتابة.
خلال هذه الفترة، أنجبَت ابنةً أسمتها (أديبة). وقالت بأنَها أسمتها بهذا الاسم لأنّها ولدت وأمّها في ذروة مجدِها الأدبي.

وبعد شهرٍ مِن إنجابها، طلبت من زوجها أن يوافق على إيداع الطفلة في بيت أهلِها حتى تكون مُتفرِّغة للكِتابة.
قالَت: لينا لا عمل لها، وستهتم بِها مثلي، ها قد مضى شهر يا عبد السلام، والبنت لا تتركني أكتب جملة واحِدة، إذا بقي الأمر هكذا، سوف يصيبني فتور مِن الكِتابة وقد لا أستطيع أن أعود إليها. فرفض الفِكرة قائِلاً: هذه ابنتك وأنتِ مُجبَرة بِها، هي أهمّ مِن العمَل يا رَوعة وأنا رجل ومتكفّل بتلبية متطلَّبات بيتي.
قالَت: اهدأ يا عبد السلام، إذا أُتيح لنا حلٌّ توفيقيٌّ، فلماذا لا نأخذ بِه، ونتجنَّب الخسائِر؟
ثم أردفَت تقول: لينا، جالِسة تُعاني مِن الفراغ، وهي ليست غريبة، بل خالتها، والخالة هي الأمّ الثانية، وسيكون هذا بشكلٍ مؤَقَّتٍ، ونحن لن ننقطع عنها، وبأيّ وقتٍ يمكننا أن نذهب كي نراها، وإذا كنتُ مُنشَغلة يمكن أن تذهب مع رامي، وبالنسبة للنفقات، اطمئن، فلن نُثقل عليهم، فبدل أن يَتوَقَّف عَمَلي، ويَنقَطع راتبي مِن المجلة، سوف أستمر في الكِتابة، وأخصّص جزءاً من الراتب، منه لنفقات البنت، ومنه لأتعاب لينا.
وصارَت تلحُّ عليه بشكل يومي خلال أسبوع حتى وافق في نهاية الأمر، وعند ذاك ابتاعت حاسوباً، وعادَت بِنَهمٍ إلى طقوسِها في الكِتابة، وهي تُغلق باب الغرفة على نفسها، بل

وتغلق حتى جهاز الهاتف حتى لا يشغلها شيءٌ عَن استغراقِها في العَمَل.

أحسَّت رَوعة بفرحة غامِرةٍ عندما فتحَت هاتِفها في المساء، ورأت دعوةً وصلتها بالواتس آب مِن المجلَّة الالكترونيَّة تقول: بمناسبة انعقاد النَدوة السنويَّة لمجلَّتنا الالكترونية، نتشرَّف بدعوتكم لحضور هذه النَدوة والمُشارَكة في فعّاليَّاتِها مِن خِلال إحياء أمسيةٍ قصصيَّة مِن نتاجكم القصصي.
يُرجى تزويدنا بصورة عَن جواز السفر من أجل إجراءات إخراج الفيزا، وحجز تذكرة الطيران، والفندق.
ملاحظة: يحصل المُشارِكون على مكافأة مالية تُعادل راتب ستة أشهر.
فقرأت الدعوة لزوجِها وهي تقول: قل لي مبروك، يا عبد السلام.
صُدِمَت بِه وهو يعبس قائِلاً: لا يا رَوعة، يستحيل أن أُوافق على سفرك إلى دولةٍ أُخرى، عملكِ عَن بُعد يكفي.
قالَت: لن أغيب أكثر مِن أسبوع، وبالنِسبة لأديبة فقد اتَفَقنا بأنَّها تعيش مع أهلي ولا توجد مشكلة، وإذا أردتَ سوف أضع رامي أيضاً هُناك في بيت أهلي، أو تأتي لينا وأديبة إلى هُنا، كن مُتعاوناً معي يا عبد السَّلام، أرجوك، هذا مستقبل عائلتنا

وأنا ألقى النجاح فيه، أصبحتُ شخصيَّة مهمَّة يا أبا رامي، لا تخذلني أمام المجلَّة.
هزَّ رأسَه بالنفي وقال: لا يمكن أن أوافِق، ولا تُحاولي.
فرضَخَت لِقرارِه وهي تُتَمتم في سرِّها: أعرفُ كم أنَّكَ عَنيد، وربما تغار مِن نجاحي، يا لي مِن هَبلة.
وأرسَلَت للمجلة اعتذاراً عَن الحضور وهي ممتعِضة.

غدت تمضي غالبية وقتها في الكتابة، وهو يُعاني ويحتمل لعلّها تعود إلى ما كانَت عليه.
لكنه بعد عدَّة أيَّامٍ، استاء منها عندما دخل غرفتها مساءً وطلب منها أن تعدّ له فنجاناً من القهوة، فأومأت بيدها أن ينتظر وهي مستغرِقة في الكِتابة.
قَبعَ نحو نصف ساعة وهو ينظر إليها تكتب كما لو أنَّه ليس موجوداً في الغُرفة، فكرَّرَ طلبه، وعادت تومئ له أن ينتظر.
تذكَّرَ أنه منذ عدَّة أيامٍ عندما عاد من العمل ولم تكن قد أعدَّت الغداء، ورآها جالِسة تكتب في ذات الغرفة.
حينها أبدت الإماءة ذاتها دون أن تردّ عليه، ولبث نحو ساعتَين ينتَظر وهي ما تزال تكتب، فراح إلى البرّاد وأعدَّ لنفسه سندويشةً من الجبن وأكلها، ثم راح يسترخي على ظهره قليلاً لأن وقت القيلولة قد مضى.

بغتةً صدر منه صوت وهي ما تزال مستغرقة في الحاسوب: رَوعة..
عادت تُشير بيدِها كي يتمهَّل، فتقدَّمَ منها مِن الخلف وأقامها مِن الكرسي قائلاً: اعملي القهوة الآن.
قالَت وقد بدا عليها الاستفزاز: أعرف أنك تغار من نجاحي بدل أن تحمد ربَّك الذي رزقك بزوجةٍ أديبة، عليك أن تعلم بأنك لم تتزوَّج إنسانة عادية، بل أديبة، ولتعلم جيداً، بأنَّ دخلي مِن نشر قصّةٍ شهريّاً في المجلة الالكترونيَّة التي تعاقدتُ معها، يفوق راتبكَ بخمس مرَّات، رغم أنَّكَ منعتني مِن حضور نَدوتها السنويَّة.
فنظر إليها بحنقٍ وهو يكظم غيظه، وبعد صمتٍ قصيرٍ دَنَت إليه وقالت بنبرةٍ هادِئةٍ: لماذا لا تُقدِّر ظروف عملي، صدّقني الكِتابة أصعب بكثير مِن دوامكَ اليومي، بل ومِن نقل الحِجارة على الظَهر.
ألا تَرى بأنَّني أنهض كل يوم في الرابعة فجراً وأبدأ في الكِتابة، كُن واقعياً يا عبد السَّلام، وضعنا المَعيشي كلّه تغيَّر خِلال هذه الفَترة مِن مَردود نشر قصصي، جدَّدنا أثاث البَيت، برّادنا ممتلئ بأصناف الطعام، وصرنا نُقدّم مُساعدات لبعض المحتاجين من أهلك، ومِن أهلي.
الكِتابة ليست سهلة، إنَّها تُذيبني وأنا أكتبها، أحياناً عندما أكونُ مُستغرِقة في كتابة جزء مِن قصّة، لا أحتمل سماع حتى

صوت عقارب الساعة، لأنَّه يَتحوَّل في سمَعي إلى أصوات رعود وبراكين، ألا تذكر يا رَجل بأنَّني استبدلتُ تلك الساعة بهذه الساعة الجَديدة التي تدور عقاربها بصمت، ولا تُصدر أي صوت.

طوال الشهر أبقى مشغولة لأنَّني مُلتَزِمة بِكتابة قصّة جديدة كل شهر، تستنزف منّي أكثر مِن عشرة أيَّامٍ لأنَّني في البِداية أكتبها كما تعلم على الورق أكثر مِن مرَّة، وأعود إليها حتى أستقرَّ بأنَّها أخَذَتْ صيغتها النهائيَّة، ثم أنقلها إلى الحاسوب، وهذا أيضاً يكون بمثابة كِتابة جديدة لها لأنَّني أضيف بعض الجُمَل، وأحذف بعضها، فيمكن لجملةٍ ركيكة واحِدة أن تترك أثراً على القصة كلّها، وأحياناً أمضي ساعتَين متواصلتَين وأنا أعيد صياغة جملة واحِدة، وهكذا أبقى مُنشغلة بِها وغير مُستقرَّة حتى أضع عليها اللمسات الأخيرة في الحاسوب وأرسلها، وعند ذاك فقط أشعر بقليلٍ مِن الراحةٍ التي لا تدوم، لأنَّني أستغل ذلك وأقرأ مجموعة قصّصيَّة، وحتى في الليل عندما ينهكني العَمَل، ترى كيف أستغل تلك الدقائق القليلة ما قبل النوم كي أستمع إلى محاضرةٍ عَن القصة في اليوتيوب، وعلى الأغلب لا أكمل لأن النُعاس يغلبني وأنا أستمع، ألا تَرى كل ذلك بعينَيك يا رجل، لماذا لا ترحمني، أليسَ هذا كلَه لبيتنا وعائلتنا يا عبد السَّلام؟.

ثم تمتَمَت في قرارةِ نفسها وهي تنظر في عينَيه: أه لو تَعلم كم أرغب بقوّةٍ أن تكون لي حجرة مهجورة وأغلق بابها على نفسي، ولا أفعل شيئاً سوى أن أكتب، وأكتب، وأكتب، ياه.. كم أحتاج إلى مزيدٍ مِن الوَقت، إلى مَزيدٍ مِن الفراغ، وكم أشعر بأن عمراً واحِداً لا يكفيني كي أكتب.

أردَفَت تقول وهي تنظر إليه: عندما تناديني وأكون مُستَغرِقة في الكِتابة، لا يعني ذلك بأنَّني أعصي لك أمراً يا عبد السَّلام، بل بالفِعل أكون داخِلة إلى عمق العَمَل ولا أستطيع أن أفكَّ نفسي مِنه.

الفصل الثالث

(غرفة الكتابة)

مرَّة أُخرى استطاعَت أن تُقنِعه كي ينسجم مع هذا الواقع الجَديد، ويتغاضى النَّظَر عَمَّا يبدر مِنها مِن تقصيرٍ تجاهه وتجاه البَيت،
فتمضي غالبيَّة الوقت في الغُرفة التي خَصَّصَتها للكِتابة، ولا يراها غير دقائِق معدودة في اليوم الواحد، لأنَّها تكون جالِسة تكتب في تلك الغُرفة. وأحياناً عندما يحنّ إليها، وإلى حضورِها في البَيت، يذهب إلى غرفتها، ويجلس على كرسيٍّ وهو يرنو إليها، ثم يتحدَّث معها، وبعد قليلٍ تقول بفتورٍ: ماذا قلتَ يا عبد السَلام؟
فَيُكَرِّر لها ما قال، فتقول وهي مُنهَمِكة في الكِتابة: أهّا.. أو تجيب بعبارة موجزة، إذا كان لا بدَّ مِن الإجابة.
فينتابه شعور بأنَّه زائِرٌ ثَقيلٌ أتى في وقتٍ غير مُناسِب، وما يلبث أن يخرج بصمت.
ومع مرور الأيّام رآها تغيب حتى عَن تناول وجبات الطَعام معهما، وحتى رامي صار يميل إليه أكثر مِمّا يميل إليها، وبدا هو الآخر يتأقلَم مع هذا الواقع، فعندما يذهب إلى غرفتِها

ويراها مُستَغرِقة في الكِتابة، لا يدنو مِنها، ولا يطلب مِنها شيئاً، ويعود ليطلب مِن أبيه الذي يُلبّي له المَطلَب.

بينما كانَت رَوعة تفتح هاتِفها كي تُرسل قصَّتها الجَديدة إلى المجلَّة، رنَّ الجِهاز وهو بيدِها، ورأت أن المكالمة خارجيَّة، ففتحت الخط بسرعةٍ، ليتناهى إلى سمعها صوتٌ نَسويٌّ يقول:
كيفك يا أستاذتنا القَديرة، أرجو أن تكوني بِخَير.
قالَت: تسلمي عزيزتي، الحمد لله أنا بخير.
قالَت: معكِ (أناهيد) مُنسِّقة الندوة السنويَّة التي تُقيمها المجلَّة، في منتصف الشهر القادم، وهو الشهر الأوَّل مِن السنة الجديدة، كالعادة يكون موعدنا مع الندوة، وحضرتكِ مدعوَّة بصفتكِ مِن أسرة المجلَّة ولكِ زاوية ثابِتة في كل عدد تكتبين فيها قصَّة جديدة، سوف تُشاركين في ندوة هذه السنة بإحياء أمسيةٍ قصصيَّةٍ لمدَّة 45 دقيقة.
فإذا كان ظرفكِ يسمح بالحضور، أرسلي صورة عَن جواز سفرك حتى نقوم بالإجراءات اللازمة، مع العلم يا أستاذتي الفاضِلة بأن هناك مكافأة تكريميَّة خاصَّة هذه السنة للمشاركين القادمين مِن خارج البلاد، وهي راتب سنة كامِلة.
عندما أغلقَت المُنسِّقة الخط، شردت رَوعة وهي مُنذَهِلة كيف أن سنة كامِلةً مضت بهذه السرعة، سنة بلحظاتِها وساعاتها

ونهاراتها ولياليها، سنة بأيَّامِها وأسابيعها وشهورها، سنة مِن العمر مضت.
ثم تمتمت: ولكنَّها كانَت أيضاً سنة حافِلة بالنجاحات والإبداعات القصصيَّة الجَديدة، لكلِّ إنسان سنوات ذهبيَّة في عمره، وكانَت هذه سنة ذهبيَّة مِن عمركِ يا رَوعة.
ورغم كل مشاعر الغبطة التي انتابَتها، أدركت في الوَقت عينه بأنَّه لَن يوافِق كما حدث في السنة الماضية، ولا تدري كيف راودتها بغتة فكرةٌ للتمرّد، فكرة أن تُسافِر رغماً عنه، وليحصل ما يحصل. ثم تمهَّلَت وتمتمت في سرِها: لكن ربما يكون قد غيَّرَ رأيه، وسأحاول أن أُقنِعه بكل إمكاناتي حتى أقي نفسي هذه المُخاطَرة التي قد تكون عاقبتها وخيمة.
في المساء قرَّرَت أن تؤجّل الكِتابة الليلة، وبينما كان جالِساً في غرفة رامي، أحضرت إلى غرفة النوم بعض الحلوى، والمُكسّرات والعصائِر، وشوَت طَبَقاً مِن شرائِح اللحم الأحمر الطري، وأعدَّت طَبقاً مِن السَلَطة، ثم ارتدت فستاناً شفّافاً وأشعلت شمعتَين. وفي تلك اللحظات، أرسلت له رسالة بالهاتف كي يأتي.
عندما رأى الرِسالة، قبَّل ابنه وقال: تصبح على خير.
ثم خرج مُتَّجِها إلى غُرفة النَوم ليُفاجأ بتلك الأجواء المخمليَّة التي كانَت تُقيمها له في الشهور الستة الأولى مِن الزواج

بشكلٍ شبه يومي، ثم بشكلٍ مُتقطِّعٍ فيما بعد، ثم انقطعت عنها تماماً بعد عودتها إلى الكِتابة.
عند ذاك شغَّلت موسيقى رومانسية هادِئة وتعانَقا على سماعِها، وبعد ذلك شغَّلت موسيقى راقِصة، وصارت ترقص له على إيقاعِها وهو ينظر إليها ويتناول أصناف الطعام والشراب، ويتفاعل معها، ويتذكَّر تلك الطقوس الجميلة التي كان قد نسيها.
بعد أن أمضيا نحو ساعتَين مِن السمَر، قالَت له وهُما على سَرير النَوم: حبيبي لي عندك طلب أرجو ألّا تردَّني.
قال: تفضَّلي حبيبتي.
قالَت: أتذكر السنة الماضية عندما أرسلَتْ لي المجلَّة التي أكتب فيها، دعوةً لحضور ندوتها السنويَّة؟.
قال: نعم
قالَت: يومها لم توافق، ولم أذهب.
قال: صحيح.
قالَت: ها قَد مضت سنة بسرعة يا عبد السَّلام، واليوم أرسلَتْ المجلَّة دَعوةً لي كي أشارك في أعمال الندوة هذه السنة بأمسية قصصيَّة، وسوف يُقدّمون لي راتب سنة كامِلة مكافأة لمُشارَكَتي.
ثم أردفَت تقول وهي تُقبّله: أرجوك أن توافق على ذهابي هذه السنة يا عبد السَّلام.

بغتةً تغيَّرَت ملامح وجهه وقال بامتعاض: لا يمكن لي أن أوافق على سفر زوجتي خارج البِلاد، قلتُ لك سابِقاً بأن عملكِ عَن بُعد يكفي، وقَد وافقتُ عليه بناءً على إلحاحكِ، وليس للمَردود المالي، لأنَّني مُجبَر أن أعيلكم كيفما كان حتى لو اضطررتُ للعمل ليلاً ونهاراً، ونحن في غِنى عَن سَفرَكِ يا رَوعة، ولذلك لا تُحاولي في أمرٍ مفروغٍ مِنه بالنِسبة لي، وقد قلتُ فيه قَولاً واحِداً ولا تراجع عَنه.
قالَت بحدَّة: وإذا ذهبتُ..؟
صُدِم بالكلام الذي لم يكن يتوقَّعه منها، فأجاب: إذا ذهبتِ رغماً عني ستكونين مُطلَّقة عند الخطوة الأولى لخروجكِ من البيت دون موافقتي، وهذا هو موقفي النهائي.
عند ذاك أولته ظهرها بعصبيَّةٍ ولاذَت بالصَّمت دون أن تُضيف كلمة واحدة.

* * *

في صباح اليَوم التالي، وبعد ذهابه إلى الدَّوام، خَرَجَت مِن البيت واتَّجهَت على الفَور إلى مديريَّة الهجرة والجوازات، وحصلت على جواز سفر، ثم عادَت إلى البيت وأرسلت صورةً مِنه إلى المُنسِّقة دون أن تُخبِر زوجها بشيءٍ.

بدأت الأيَّامُ تمضي وهي تُخفِّف مِن ساعات عملها، وتعدّ نفسها للسَفَر، وتتخيَّل مختلف العواقِب.
وذاتَ يومٍ فتحت الهاتف، ورأت تذكرة الطائِرة والفيزا، أخذ قلبُها يخفق فرحاً وقلقاً في الوقت ذاته، فهي انطلاقتها إلى عالَم النجوميَّة، وغدت تتخيَّل لقاءاتها مع أدباء وإعلاميين، وقد لا يخلو الأمر مِن مقابلات تلفزيونيَّة، ومِن جهةٍ أُخرى تخيَّلت بأنَّها ستكون مُطلَّقة إذا تمرَّدَت على زوجِها وسافرَت رغماً عنه.
أصبحَ الأمرُ بالنِسبة لها واقِعاً، ولكن ما يزال بإمكانها التراجع عَن القَرار، وفي ذروة تلك اللحظات المُضطَّربة اتَّصَلَت مع غيثاء وقالَت لها: حبيبتي إذا عندكِ مجال أريد أن أراكِ.
قالَت: تكرمي حبيبتي، أنا الآن في بيت طالِبة أعطيها درساً خصوصياً في اللغة العربية، وسأجيء فور الانتهاء.
ولبثت متوتِّرة بين أن تذهب، أو تعتذر مثل السنة الماضية رغم كل ما قامَت بِه كي تُسافِر، ولم تتأخَّر غيثاء، فجاءت وأدخَلَتها إلى غرفة الكِتابة وعند جلوسِها شرحَت لها الأمر وطلبت استشارَتها.
قالَت غيثاء: برأيي يا رَوعة حياتكِ العائليَّة لها الأولويَّة ولا تُفرّطي بِها، فُرَص السفر ستكون كثيرة في مشوارك الأدبي،

أمّا إذا خسرتِ عائلتك، فتكون الخسارة فادِحة وقد لا تُعوَّض بعائِلة جديدة.
ثم أردفت تقول: الأمر يحتاج إلى وقت حتى يصل زوجك إلى قناعة بالتدرّج ويوافق على سفرك لوحدك إلى دولةٍ أُخرى، وأنا واثِقة بأنَّه مع السنوات سيلين ويتجاوَب مع مُستجدّات ومُتطلَّبات عملكِ كأديبة.
في تلك اللحظات، طُرِق الباب ودخل رامي حاملاً كأسَين مِن العصير، فقالَت رَوعة: هذا ابني رامي، هذه السنة انتهى مِن الحضانة وأدخلناه إلى الصف الأوَّل الابتدائي.
تناوَلت غيثاء كأس العصير مِن يده وقبَّلَته، وعند خروجه رأت غيثاء الدموع تترقرق في عينَي رَوعة، فبكت هي الأُخرى، وبعد قليلٍ مِن الصمت الذي سادَ الغُرفة، قالَت رَوعة بنبرة بُكاء: ألا ترين بأن بعض الفُرَص عندما نفوّتها على أنفسنا قد لا تُعوَّض؟
قالَت: كلامك سليم مئة بالمئة يا صديقتي، ولكن بالنِسبة لطبيعة عملكِ كأديبة مُتميّزة، لا تنغلق الفُرَص أمامكِ، وتبقى دوماً مفتوحة، بل وتتكاثر سنة بعد سنة.
ثم أردفَت تقول: لديكِ فُرَص المُشارَكة في أنشطة معارض الكُتب، حفلات توقيع مؤلَّفاتكِ، الفَوز بالجوائِز، اختياركِ في لِجان تحكيم المسابقات القصصيَّة، المُشارَكة في المؤتمرات والملتقيات الأدبيَّة، هذه الأمور كلّها ستأتي مع الوقت

وبالتدرّج، وسيقبل بِها عبد السَّلام، بل قد يرافقكِ أيضاً في بعض هذه المُناسبات، خسارة العائِلة هي خسارة أكثر مِن فادِحة يا رَوعة، لا تستعجلي مادام الرجل قد اتَّخذَ قراره الحاسم في الطَلاق في حال تحدّيكِ له، وفي النهاية يبقى القرار الأوَّل والأخير لكِ.

عندما خرجَتا مِن الغرفة، كان جالِساً في الصالون، فنهض، وسلَّمَت عليه غيثاء وهي تراه لأوَّل مرَّةٍ، ولا تدري لماذا أمعنَت النَظر إليه لِلَحظات، كما أنَّه أمعنَ النَظَر إليها.

قالت رَوعة: هذه غيثاء، صديقتي ومُستشارَتي اللغويَّة.

قال: أهلاً وسهلاً.

ثم قالَت: عبد السَّلام، زَوجي.

قالَت: تشرَّفنا يا أُستاذ.

عادَت رَوعة بعد أن ودَّعَت صديقتها، وجلسَت معه في الصالون، وبعد قليلٍ قالَت: هل تشرب قهوة؟

هزَّ رأسه بالإيجاب، فنهضت وأحضرَت فنجانَين مِن القهوة، وهي تتخيَّل بأنَّه آخر فنجان قَهوة لها في البَيت.

همهمَت في نفسها وهي تنظر إليه يرتشف القهوة الساخِنة: لن تتغيَّر يا عبد السَّلام، أنا لم أعد رَوعة التي تعرفها، أنا الآن شخصية اعتبارية كبيرة ولي موقعي الأدبي والاجتماعي وسَوفَ أمثِّل كل شرائح شعبي في تلك الدولة، لكنَّك ترفض أن تعترف بهذا الواقع الجديد الذي فَرَضَته موهبَتي عليك.

كانَت ليلة وداع بالنِسبة لها، ولم تشأ أن تمضيها مَعه، وأمضتها في غرفة رامي وهي تذرف الدموع حتى الصباح دون أن تنام، كانَت تنظر إليه وتُريد أن تشبع منه نَظراً وبين لحظةٍ وأخرى تُقبّله وهو غارقٌ في لفائِف نومه العَميق.

في صباح اليوم التالي وبعد ذهابه إلى الدَّوام بنحو ساعةٍ، أعدَّت وجبة الغَداء، ووضعتها على المائِدة في المَطبَخ، ثم راحت تضع حوائجها في حقيبة متوسِّطة الحجم، وارتدت المعطف الشتوي، وخَرَجَت من البيت وراحت تُودِّع أهلها وتقبّل ابنتها أديبة بحرارةٍ وتوصي لينا أن تهتمَّ بِها، ثم سافرت إلى العاصمة، كي تنطلق مساءً بالطائرة.
عندما عاد عبد السَّلام إلى البيت، فوجئ برامي الذي فتح له الباب يقول: ماما ليست في البيت يا أبي، رجعتُ مِن المدرسة ورأيتُ الباب مفتوحاً.
قال: اذهب إلى بَيت هَناء ربما تَكون عندها.
فخرج وطرق الباب، وعندما فتحت هَناء، قال لها: هل ماما عندكِ يا خالة؟
قالَت: لا يا حبيبي. ثم قالَت له: انتظر.

فاختفت قليلاً ثم عادت وأعطته قطعة كيك مُغلَّفة، تناولها وهو يقول: شكراً يا خالة، وعاد إلى أبيه قائلاً: ماما ليست هُناك يا أبي.

جلس مع ابنه يتناولان الطَعام الذي أعدَّته، وهو يتوقَّع أن تدخل في أيَّة لحظة، وعند العصر، اتَّصلَ مع لينا وسألها إن كانت رَوعة قَد زارتهم.
فقالَت: فعلاً هي زارَتنا يا أبا رامي، ولكن كي توذِّعنا، وتذهب للمشاركة في الندوة.
ثم استأنَفَت وهي تبكي: صدّقني حاولتُ بكل إمكاناتي أن أثنيها عَن السَفر، ولكنَّها كانَت مُصرَّة بشكل عجيب.

اعتلت حَنْجَرته غصَّة، وانحَدَرَت دموعٌ مِن عَينَيه وهو ينظر إلى رامي، ثم خَرَج وهو يبلع ريقه الجاف.
اتَّجه بسيَّارَتِه إلى بَيتِ أهلها، توقَّفَ بِمُحاذاة الرَّصيف، وطرق الباب وتراجَع إلى الوراء.
بعد قليلٍ فَتَحَت لينا الباب، ودَعَته إلى الدخول، فاعتذَر وقال: من فضلكِ اجلبي أدبية.
قالَت: أنتَ كبير يا أبا رامي ونحن نتعلَّم مِن حكمتك، أرجوك لا تتسرَّع، هذه عشرة عُمر، ورَوعة تُحبّك أكثر مِن أيّ تصوّر، هي أخطأت عندما خَرَجَت بدون موافقتك، ولكن هذا

ليس كل شيء، ويمكن له أن يُصلَّح. أرجوك كُن هادِئاً نحن جميعاً نُحبّك وأنتَ في كل الأحوال أحد أفراد عائِلتنا، وبَيننا أولاد لنا فيهم بقدر ما لك فيهم.
قالت ذلك، وبعد قليلٍ جلبت أديبة.
حملها وأدخلها إلى السيَّارة، وبعد أن وضعها في البَيت مع رامي، خرج مُسرِعاً إلى بيت أهلِه في القرية، وأتى بأخته أروى كي تقيم عنده وتهتم بالطِّفلَين.

الفصل الرابع

(السفر)

عند وصول رَوعة إلى المطار، كانت الساعة قد بلغت العاشِرة والنّصف ليلاً، مضت مع القادمين حتى انتهت مِن إجراءات الدخول، وفي قاعة الاستقبال رأت بَين حشد المُستقبلين شخصاً يحمل بيده شارةً مكتوب عليها: (المجلة الالكترونيَّة)، وهو يوزّع نظراته على القادمين.

وعندما رآها تتقدَّم إليه وهي تنظر إلى الشارة، رحَّبَ بها قائِلاً: الحمد لله على سلامتكِ أستاذة، نوَّرتِ بلادنا بزيارتكِ الكَريمة.

قالَت: سلَّمكَ الله يا أستاذ، شكراً جزيلاً لك.

فقال بأنه سكرتير تحرير المجلة، ثم دعاها وهو يبسط كفَّه إلى المُضِيّ برفقته: تفضّلي أستاذة.. تفضَّلي على الرَّحبِ والسَّعة.

لدى خروجهما مِن القاعة، أحسَّت ببرودة الطقس، وغدت ترتجف، فقال الرجل وهو يفرك يدَيه والبُخار يخرج مِن فمه: الطقس شديد البرودة اليوم، يقولون إنّ درجة الحرارة اقتربت مِن الصفر.

مضيا وهو مستمرٌّ بالترحيب والاحتفاء بها حتى وصلا إلى سيَّارةٍ حمراء فاقعة من نوع (دودج تشارجر)، يجلسُ خلف مقودها سائِق.
وعند ذاك سارع الرَّجلُ وفَتح لها الباب الخلفي، فجلست على الكرسي الذي ما يزال عليه نايلون الوكالة الشفّاف، فأحكم الرجل الباب برفقٍ، وجلس في المقعد الأمامي جوار السائِق.
كانَت السيَّارة دافئة بالتكييف، وبعد نحو نصف ساعةٍ مِن المَسير، توقَّفَت بمحاذاة رصيف بنايةٍ مؤلَّفة من عدَّة طواق.
عند ذاك نزل الرجل وراح يفتح لها باب السيارة، فنزلت بتؤدَةٍ، ومَضَت برفقَته صوب البناء حتى توقَّفَ أمام إحدى الشقق في الطابق الثاني، وما لبث أن أخرجَ مفتاحاً من جيبه وفتح الباب قائِلاً وهو يُناولها المِفتاح: هذه الشّقة محجوزةٌ لكِ حتى تأخذي راحتكِ فيها.

وأردف يقول بعد أن تناولَت المِفتاح مِن يده: المجلَّة خصَّصَت لكِ تلك السيارة مع السائِق (بهجت) طوال فترة الاستضافة، وسوف يكون على أهُبَة الاستعداد لتلبية أيّ طلبٍ منكِ بشكل يومي من التاسعة صباحاً، وحتى التاسعة مساءً.
وقبل أن ينصرف، أدخل بطاقة تغطية هاتف إلى جِهازِها وثبَّتَ فيه اسم السائق ورقم هاتفه، وقال بأنَّها إذا احتاجته في أيِّ وقتٍ آخر، يمكن لها أن تتَّصل به، وسوف يكون عندها

خلال أقل من نصف ساعة، وكذلك يمكنها في أي وقتٍ أن تطلب الطعام مِن المطعم، وتوجد على الطاولة بجانب السرير قائِمة بأنواع المأكولات والمشروبات، ورقم الهاتف.
وعليها ألّا تتردَّد في أيّ مطلبٍ مِن السَّائِق حتى لو أرادت شراء ثيابٍ، أو بعض الهدايا لأهلِها، لأنَّها ضيفة، وسيكون كلّ ذلك مِن ميزانيَّة النَدوة.
وقال: الشقة مُجهَّزة أستاذتي، وفيها تدفئة مركزيَّة، وإنترنت، والآن اسمحي لي أن أتركك حتى ترتاحي من عناء السّفر، وموعدُنا غداً عند الساعة العاشرة صباحاً في مقرّ افتتاح النَدوة.

شَكَرَته على حُسن استقباله لها، فدخلت وأغلقت الباب، وبعد قليلٍ استحمَّت، ثم تمدَّدَت باسترخاءٍ على السَّرير في أجواء الشقَّة الدافئة. وبغتةً عَلت غصّة إلى حنجرتِها، وانبجست الدموع مِن عينَيها وقد تقافَزَت صورُ زوجها، ورامي، وأديبة إلى مُخيّلتها، وهي لأوَّل مرَّة تشعر بهذا البُعد المُروِّعِ عَن بيتِها، عَن حميميَّة تلك الطقوسِ في البَيت: فها هي تكتب مقطعاً مِن قصَّةٍ جديدة، وتستمع لأغنيةٍ لعبد الحليم، وفي لحظةٍ تشعر بشوقٍ إلى زوجِها الجالس بمفرده في الصالون، ترفع صَوت الأغنية إلى الآخر ويمتلئ البيتُ كلُه بالصوت، فتهرع وتقذف بنفسَها كطفلةٍ في حضنه وتقول: أعتذرُ عَن كلّ لحظةٍ

ألم سبَّبتها لك يا عبد السَّلام، إن أردت سأُمزِّق كلّ ما كتبت، وأُحطِّم جهاز الهاتف، والحاسوب، ولن أكتب كلمةً واحدةً بعد الآن.
حياتي دونك مُرعِبةٌ، هذه العائِلة هي عالَمي كلّه، حتى لو كنّا في خَيمةٍ مهجورةٍ سأكون سعيدةً ما دمنا مع بعضِنا. أرجوك يا عبد السَّلام لا تتسرَّع في اتِّخاذ أيِّ موقفٍ منّي، كما تسرَّعتَ عندما تركتني في ذاك الحادث، كنتُ أمضي في بيت أهلي أسوأ أيام حياتي، مُجرَّد تخيّل تلك الأيام السوداء يُرعبني.. هل تتصوَّر بأنَّكَ ذات يوم ستتركني؟
فيَضمُّها ويقول: لا يا حبيبتي أنتِ سيِّدةُ هذه العائِلة.
نهضت فجأة وبَرَكت في السَّرير والصور تتداعى إلى ذاكرتها كأشباح، همهمَت كما لو أنَّها كانَت في حلمٍ واستفاقَت مِنه للتو: ما الذي فعلتِ يا رَوعة.. بأيِّ قلبٍ استطعتِ أن تبتعدي عَن عائلتكِ، وأيُّ ربحٍ تتوقَّعينه وأنتِ تخسرين أغلى ما في الحياة؟.
في تلك اللحظات، أحسَّت بأن الجدران تضيق عليها، وأنَّها لم تَعد قادِرةً على التنفس، فتمتمَت: اللَّعنة على الشهرة، اللَّعنة على المجد، على المال، على الأضواء، على السَّفر، على كلّ شيءٍ أبعدني عَن حياتي الهادِئة.
ياه.. كم أنَّ الغربة مؤلِمة.. كم أنّ البُعادَ عَن الأحبّة موحش.

تَرَكت السَرير، وهرولَت صوب الباب، فتحته بسرعة، وخرجَت إلى الشارع، وصارَت تمشي وتتنفَّس بعمق.
أمضَت نحو ساعةٍ وهي تتسكَّعُ في الطُرقاتِ رغمَ شدَّة البردِ، ثم عادت إلى الشقَّة، استَلقَت على السَّرير، وأغمضَت عينَيها المُتعَبتَين كي تنام، وغدت تتقلَّب في الفِراش حتى غفت بعد مُحاولاتٍ عَديدةٍ، عند ذاك رأت نفسَها في صحراء ولا أحد حولها، وبعد قليلٍ رأت حيواناً شَرِساً يظهر مِن بَعيد، ويدنو منها، تَراجعَت إلى الوراء تحت سَطوة الهلَع، وهي ترمقه يتقدَّم إليها، عادت تنظر حولها، ولم تجد أحداً كي تستنجدَ به، ولا موضعاً كي تحتمي فيه.
وصارَت تَجري مرتعبة، وهي تلتفت بين فينةٍ وأُخرى لتراه يجري خلفها، وعندما رأته ينقضّ عليها، أطلقَت صرخةً مدويَّة ورأت نفسها وقد انتفضت على السرير وأنفاسُها تتسارع، قلبُها يهبط بشدَّة.
هَرولَت في مساحة الشقّة، وأشعلت الإنارة، ثم فتحت النافِذة، وغدت تستنشق الهواء بأنفاسٍ عَميقةٍ. ولبثت يقظةً دون أن تجسر على النوم حتى أدركها الصَّباح.
عند ذاك أحسَّت بالجوع يعتصر معدتها، فاتَّصَلَت بالمطعم، وطلبت وجبة إفطار.

بعد نحو نصف ساعةٍ سمعت طرقاتٍ خفيفةً على الباب، ففتحته وتناوَلت الطَّعام من يدِ العامل، ثم وقَّعت له على الفاتورة.
جلسَت تأكل على مهلٍ وهي تتخيَّل جلوسها في البَيت وتناولها طعام الإفطار. وللتَو أدركَت كم أنَّها كانَت مُقصِّرة بحق عائلتها، وخاصَّةً في الفَترة الأخيرة حيث كانَت تتناوَل وجبات الطَّعام بمفردِها لأنَّها كانَت مُستَغرِقة في الكِتابة، وفي كثيرٍ مِن الأحيان كانت تنسى أن تعدَّ لزوجها وابنها وَجبات الطعام، فكانا يأكلان بعض النواشف الجاهِزة في البرّاد مِن حواضر البَيت، أو بعض المُعلَّبات، فكم من مرَّة دخلت المَطبخ متأخِّرة ورأت رامي وقد فتح لنفسه علبة سردين وأكلها، أو يكون زوجها قد أكل حبة بندورة مع الخبز والشاي كوجبة غداء.

شردَت كيف أن قلبها طاوعها حتى تتخلّى عَن ابنتِها في وقتٍ هي بأمسّ الحاجة إلى حنانِها، إلى دفئِها، إلى حليبها، بل حتى إلى دندنة صوتها، وهي تُهدهدها كي تنام، تضمّها إلى صدرها وترضعها، تشمّ رائِحتها: أجل تخلّيتِ عَن فلذة كبدك يا رَوعة، كم كنتِ امرأة أنانيَّة كأن الكتابة كانَت ستطير منكِ، حتى رامي عندما كان يطرق الباب، ويراكِ لا تردّين عليه، يئسَ ولم يعد يأتي إليك في غرفة الكِتابة، كنتِ مُنعَزِلة وأنتِ تتخيَّلين بأنَّكِ تبنين مجدكِ الأدبي.

* * *

عندما بلغت الساعة التاسعة والنصف، نهضت والغَصَّةُ عالقةٌ في حنجرتها، والدموعُ تنهمرُ مِن عينَيها، غسلت وجهها مِن جديد، وارتدت ثيابها، ثم خرجت وهبطت الدَرَج إلى حيث السيارة التي كانت واقِفة بانتظارِها.
عندما لمحها السائق قادِمةً، فتح الباب بسرعةٍ ونزل من السيارة وهو يُقدّم لها التحية ويُرحّب بها، ثم فتح لها الباب الخلفي كي تصعد.

شكرته وقالت بأنها تُريد أن يأخذها إلى المكان الذي ستُفتَتَح فيه الندوة.
قال: للأسف سيدتي، اتَّصل بي سكرتير التحرير وطلب مني أن أُخبرك بأن موعد افتتاح الندوة تأجَّل بسبب تعرّض السيِّد رئيس التحرير لوعكةٍ صحَيةٍ مفاجئة، وهو الآن في العناية المشدَّدة.
قالَت: خبر مؤسف يا أستاذ بهجت، عليه العافية.
قال: لكنَّه أوصاني أن أطلِعَكِ على معالِم هذه المدينة حتى تأخذي نظرةً أوَّليَّةً عن المُنجزات التي حقَّقناها في البِلاد.

نظرت إليه وهو يتحدَّث، وللتو اكتشفت حجم أنفه الضخم البارِز إلى الأمام، وكذلك صوته الرفيع الذي يشبه صوت الماعِز، فاستأنفَ يقول: وعندكِ خَيار أن تكوني لوحدكِ، أو نأخذ معنا أديبة أخرى حتى تستأنسي معها، وهي أيضاً مُشارِكة في الندوة.

وبعد أن ننتهي من الجولة الصباحيَّة اليوم، عندكِ خَيار في تناول وجبة الغداء معها، أو بِمُفردكِ، والمائدة مفتوحة في المطعم على نفقة الندوة.

قالت وهي تهزّ رأسها: يُستَحسَن أن نصحبها معنا.

قال: حاضر سيدتي. واتَّجه على الفور يقود نحو ربع ساعة حتى توقَّفَ بجانب بنايةٍ، ونزل على الفور، ثم عاد وبرفقته امرأة أنيقة بدت أنَّها خَرَجَت للتو من الحمَّام.

فتح السائق لها الباب الخلفي لتجلس بجانبها، فصعدت المرأة وهي تلقي السلام عليها، أجابتها بحرارة وتباوَسَتا وهي تبدي سعادتها بالتعرّف عليها.

قال السائِق بعد لحظاتٍ: هل ننطلق؟

قالَتا: نعم لننطلق.

مضى بهما وقد استنطق المُسجَّلة على صوت فيروز.

في تلكَ اللحظات، أحسَّت رَوعة بانشراحٍ وهي تتأمَّل معالِم المَدينة، وتستمع لصوت فيروز، والسائق يمضي في

الطرقات، وهو يشرح لهما عن الأماكن التي يصلها، ويتحدَّث عن تاريخ المدينة، وبين ساعةٍ وأخرى يوقفُ السيارة بجانب أحد الأماكن الشهيرة لتنزلا ويمضي معهما وهو يشرح، ثم يعودون إلى السيارة، ويستأنفون الجولة.

عندما حان وقتُ تناول الغداء، أخذهما السائِق إلى المَطعم، فجلستا إلى مائدة، وصارَتا تنتقيان أصناف الطعام مِن القائِمة التي كانت موجودة على المائِدة، في حين جلس السائِق إلى مائدة أخرى يتناول الطعام بمفرده.
أخبرتها المرأة بأنَّها كاتبة في المجلة، قَدِمَت البارحة من بلادِها للمشاركة في أعمال الندوة بأمسية شعرية.
قالت: تشرَّفتُ بمعرفتك يا أستاذة، وأنا أيضاً من كاتبات المجلة وجئتُ للمشارَكة بأمسية قصصيَّة.
حينذاك، حدَّقَت إليها وقالَت: حضرتك القاصَّة رَوعة، صاحِبة زاوية قصَّة العَدَد؟.
قالت: نعم.
ابتسمَت ابتسامة جميلة وقالَت: لم أترك لكِ قصَّةً واحدةً في أعداد المجلَّة إلّا وقرأتها أكثر مِن مرَّة، قصصكِ جميلة جداً، وأفكارُها الجديدة تدهشني، أحياناً كنتُ أتخيَّلكِ وأنتِ تكتبين قصّة قصيرةً، تبدين كما لو أنَّكِ تَحوكين ثوباً أنيقاً بدقّةٍ فائِقةٍ.

ضحكت وقالَت: أبذل كل ما بوسعي حتى أُقدّم قصّةً على الأقل لا أخجل مِنها.
قالَت: بل قصصكِ ممتازة، وأتوقَّع لك مستقبلاً باهِراً.
قالَت: شكراً على هذه الشَهادة التي أعتزّ بِها. ثم نظرت إليها جيّداً وقالَت: أعتقد بأنَّكِ الشاعِرة غالية، صاحبة زاوية قصيدة العدَد.
قالَت: نعم يا زميلتي العزيزة
قالَت: صدّقيني وأنا أيضاً لم تفتني قصيدة واحِدة لكِ إلّا وقرأتها، قصائدك فيها نَفَس قصصي، وكل قصيدة فيها فكرة جديدة، وتمتلكين موهبة اقتناص اللحظات الحسَّاسة ببراعة.
قالَت: تسلمي زميلتي الغالية، وسعيدة جدّاً بالتعرّف عليكِ.
قالَت: وأنا سعيدة أكثر.
بعد الانتهاء من تناول الغداء، اتَّجَهَتا برفقة السائِق إلى حيث السيَّارة، فأعادها إلى الشقَّة، وعندما نزلَت، أشارَت لزميلتها بكفّ الوداع وهي تقول: بيننا الهاتف.
قالَت غالية وقد لوَّحَت لها بيدِها عَن قُبلةٍ: تمام عزيزتي.

الفصل الخامس

(إحساسٌ غريب)

فتحت رَوعة باب الشقَّة وعلى الفَور ألقَت بجسدِها على رحابة السَّرير، وفي لحظاتٍ استرخائيَّةٍ غَفَت في قيلولة استغرقَت بِها ساعتَين. عندما استفاقَت، أحسَّت بأنَّ كل مفصلٍ مِن مفاصِلها ما يزال بِحاجةٍ إلى النَّوم إلى دَرَجة أنَّها لم تقوَ على مدّ يدها إلى عبوة الماء لترتشف مِنها رغم شعورِها بعطشٍ شَديد، فأغمضت عينَيها مرَّةً أُخرى وخطرَ لها بأنَّها لم تنم في النهار منذ مُدَّة طويلة، بل كانت قد نسيت نوم النهار وهي مُنهَمِكة في الكِتابَة، وعندما استفاقَت مِن جديد، تأوَّهَت وهي تمطّ جسدها وتُحاول أن تتخلَّص مِن الإرهاق، مدَّت يدها إلى عبوة الماء واستوَت جالِسةً في السَّرير. وبعد قليلٍ أعدَّت كأساً مِن الشاي بواسطة الإبريق الكهربائي، وقَعَدت بِمُحاذاة الشرفة تحتسي الشاي وتوزّع نظراتها إلى الشارع.
في تلك اللحظات راودتها رغبةٌ في التَّدخين، فتذكَّرت قَول السكرتير وهو يخبرها بأن تتواصل مع السائِق إذا احتاجت شيئاً.

فحملت هاتفها وأجرت الاتِّصال به، وعندما فتح الخط، قالَت: كيفك أستاذ بهجت.
قال: الحمد لله بخير يا أستاذتنا
قالَت: لو سمحت أريد علبة دخان وقدّاحة.
قال: حاضر يا أستاذة، هل تريدين نوعيَّة معيَّنة مِن الدخَان كي أجلبها؟
قالَت: لا. اختر نوعيَّة على ذوقك
قال: تكرمي يا أستاذة.
أغلقت الخطّ وعادَت تتأمَّل الشارع وتتخيَّل هذا الوَجه الآخر مِن الحياة، أن يعيش المرءُ بِمُفَردِه، ويعمل ويسافر بِمُفَردِه، ينام ويصحو بِمُفَرده، يمشي في الطرقات ويقوم بالزيارات بِمُفَردِه.
أدركت وهي مستغرقة بتأمّل الناس يمضون في الشارع المُضاء بالقناديل، بأنَّ عليها أن تعيش غمار التَّجرِبة التي اختارَتها بمحض إرادتها، وفي لحظةٍ تَلَبَّسَها شعورٌ بأنَّها تحوَّلَت إلى شخصيَّةٍ من شخصيَّاتها القصصيَّة التي كَتَبتها. فها هي في مكانٍ لم يكن يخطر لها أن تكون فيه ذات يوم، وفي هذه الظروف، ها هي تتمرَّد على زوجِها وأهلِها، وتُغامِر بمستقبلِها العائلي والاجتماعي، وتُقدِمُ على هذه المُغامرة التي لا تعلم أين ستودي بِها.

ولكن مِن الطَرَف الآخر همهمَت بأنّ الحياة مبنيَّة على أساس التحوّلات غير المُتوقَّعةِ بالنِسبة للإنسان، التحوّلات التي لم تخطر في بالِه ذات يوم، ولكنَّها تُصبح واقِعاً مفروضاً عَليه ولا يملك سوى أن يتأقلَم معها.
أفاقتها مِن الشرود طرقاتٌ تناهت على الباب، فنهضت وفتحَته لترى السائق يمدّ لها علبة الدخان والقدّاحة وهو يقول: هل يلزمك شيءٌ آخر يا أستاذة، نحن بالخدمة؟
تناولتهما مِن يده وقالَت: شكراً يا أستاذ بهجت.
عند ذاك، أخرج مظروفاً وقال بأنّ القسم الإداري أرسل لها مصروف الجيب مِن ميزانيَّة النَدوة، فأخذت المظروف وشكرته.

أعدَّت فنجاناً مِن القَهوة وعادت تجلس على كرسيها عند الشرفة تُدخّن وتستمع إلى الموسيقى الهادِئة من هاتِفها.
خطر لها أن تتصل مع غالية كي تأتي وتُشاركها احتساء القهوة، ولكنَّها تردَّدَت ورأت نفسها مُستمتِعة بالجلوس.
ثم حملت الهاتف وكتبت عبارة: مساء الخير. وأرسلتها بالواتس لغيثاء. فأجابَت على الفَور: مساء النور يا قلبي كيفك؟
علت غصَّةٌ إلى حنجرتها، ولم تستطع أن تقول شيئاً، فأجرَت غيثاء مكالمة فيديو معها، وبعد عدَّة رنَّات مسحت دموعها

وفتحت المُكالَمة. نظرت إلى غيثاء ومرَّة أخرى انبجست الدموع من عينَيها.
قالَت غيثاء: هل أنتِ بخير حبيبتي؟
قالت: بخير، لكنَّني نادِمة على ما فعلت يا غيثاء، ليتني سمعت نصيحتكِ وبقيتُ في البيت، لم يخطر في بالي ذات يوم بأنَّني سأصبح امرأة مُطلَّقة، هذا الشعور يُدمّرني يا غيثاء.
قالَت: حاولي أن تكوني هادِئة يا صديقتي، استمتعي برحلتكِ وحقّقي النجاح في أمسيتكِ القصصيَّة، ليتني كنتُ هُناك واستمتعت بالاستماع إليك وأنتِ على المنصَّة والقاعة ممتلئة بالجمهور الذي يستمع إليكِ. هذه أجمل اللحظات يا رَوعة، وهذه فرصتك، لا تشغلي بالكِ بشيءٍ آخر الآن.
ثم ابتسمَت وقالَت: هيا ابتسمي..
نظرت رَوعة إليها وابتسمَت، فقالَت: كم يبدو وجهك مُشرِقاً وأنتِ تبتسمين يا رَوعة، مُشرِقاً بحب الناس، لأن الذي لا يحب الناس، لا يكتب لهم. لقد عاشرتكِ عَن قُرب وأفتخر حتى أمام نفسي بأن لي صديقة أديبة. على فكرة قرأتُ لكِ قصة قصيرة البارِحة ورفعتها إلى قناتي، حقَّقَت خلال يوم مجموعة جيدة مِن المُشاهدات والتعليقات، صارت قناتي تحتوي على قصَّتَين قصيرتَين لكِ.

* * *

في صبيحة اليوم التالي، نهضت وبعد أن استحمَّت اتَّصلَت مع المطعم وطلبت الإفطار، عندما بلغت الساعة العاشِرة وهي تعدّ نفسها للذهاب إلى الندوة، رنَّ هاتفها، رأت على الشاشة اسم السائِق، حملت الهاتف وفتحته على الفَور فجاء صوتُه:
صباح الخير أستاذة.
قالَ: صباح النور بهجت.
قال: افتتاح الندوة تأجَّلَ إلى الأسبوع القادم يا أستاذة، لأنّ السيّد رئيس التحرير ما يزال في العِناية المُشدّة، نرجو له العافية وتجاوز هذه الوعكة بسلام.
قالَت: نرجو له الشفاء العاجِل.
عندما أغلقَت الخط، لا تدري لماذا راودها حدسٌ غريبٌ أحسَّت معه بشيءٍ من الارتياب. رأت أن تعود إلى النوم حتى لا تترك نفسها فريسةً للتداعيات، شغّلت التلفاز، وضعت على قناةٍ لأفلام الكرتون، أغمضت عينَيها وهي تستمع إلى الصَّوت الخافت.
في المساء انتابها شعورٌ بالفراغ دون أن تعرف ماذا تفعل، لم تكن لديها قابليَّة كي تكتب شيئاً، اتَّصَلَت مع غالية وطلبت مِنها أن تأتي إليها.
قالَت: حالاً حبيبتي.

غدت تذرع مساحات الشقَّة جيئةً وذهاباً حتى دخلت غالية مُبلَّلة بزخّات المَطر، أعطتها رَوعة منشفةً، تناولتها وقالَت: مشيتُ فقط عدَّة خطوات حتى وصلتُ السيَّارة التي خصَّصوها لي، وعندما نزلت مشيتُ خطوات قليلة حتى جئتك، لكن المطر يهطل بغزارة.
قالَت رَوعة وهي ما تزال تُرحِّب بِها: الندوة تأجَّلَت أسبوعاً.
قالت غالية: أعرف، أخبرني السائق صباح اليوم بذلك.
قالَت: لا أدري لماذا لحظتها راودني إحساسٌ غريبٌ.
قالَت: والله يا رَوعة، لقد راودني الإحساس نفسه، ولا أخفيكِ بأنَّني صرتُ أبحث في المجلَّة عَن خبر إصابة رئيس التحرير بالوعكة الصحّية، ولكن لم أجد شيئاً.
ثم استأنَفَت تقول: خطر لي أن أعود، ولكن بصراحة مكافأة راتب سنة هي التي جعلتني أتردَّد لأنَّني عقدتُ عليها الكثير مِن الآمال والترتيبات، أو ضاعنا الماليَّة قاسية يا صديقتي، ولولا ذلك لما تركتُ بيتي وعائلتي يوماً واحِداً.
قالَت: خطر لي أيضاً ذلك، ولكنَّني تأنَّيتُ لنفس السبب، وخطَّطتُ أن أعود وأودع نصف المبلغ في المصرف باسم ابني، والنصف الآخر باسم ابنَتي، وبينَ فترةٍ وأُخرى كلّما يزيد معي مبلغ، أضيفه إلى رصيدَيهما.
عند ذاك بدأ صوت المطر الكثيف يملأ الغُرفة وهو يرتطم بالنافِذة،

وأخذهما الحديث على إيقاعات الصوت حتى حان موعد العَشاء، فاتَّصَلَت رَوعة مع المَطعم وطلبت عشاءً لشخصَين.
قالَت غالية: لا أخفي عنكِ كم أنا محتارة ولا أعرف ما أفعل بَينَ أن أعود، أو أنتَظر. وبعد قليلٍ أضافت تقول: ولكنّني خائِفة مِن شيءٍ مَجهولٍ أشعر بأنَّه يترصَّدني.
قالَت رَوعة: أنا أيضاً خائِفة وواقِعة في حيرة مِن أمري، وأردفت تقول في قرارة نفسها: ليتني بقيتُ في البَيت واكتفيتُ بالعمل مع المجلَّة عَن بُعد كما قال لي عبد السَّلام. أجل، ما كان علَيَّ أن أخرج عَن طاعته وأتمرَّد عليه مهما كانَت الدوافع، لكن على كل حال، حصل الذي حصل، ولم يعد بوسعي أن أفعل شيئاً سوى أن أستكمل مشوار نجاحي كي أستطيع أن أفعل شيئاً مجدياً لرامي وأديبة.. ما تزالُ في الحياةِ بقيَّة، وربما أرى أحفادي منهما، ربما أصبح كاتِبة مشهورة، وأشتري لكل واحدٍ منهما بيتاً وسيَّارة، وأصحبهما معي في أسفاري.
أخذ دَويُّ الرعود يتصاعد في كبد السَّماء بقوَّة، والمطر الغزير يضرب النافِذة، فنظرت إلى غالية وقالَت: ما رأيكِ أن تنامي هُنا، لقد تأخَّرَ الوقت؟
أومأت غالية رأسها بالإيجاب وقالَت: ليس تأخّر الوقت فحسب يا صديقتي، بل صرتُ خائِفة مِن النَوم وحدي أيضاً.

استلقتا على السَّرير الذي وسعهما، وبعد قليل استغرقتا في النَّوم وكل واحدة قد دسَّت كفَّها بَينَ ثنايا شعر الأخرى.
أمضتا أسبوعاً في ألوان الرفاهية مصطحبةً بألوان القَلَق وهما ينامان معاً على ذات السَّرير، يأكلان معاً، يُدخّنان ويحتسيان القهوة والشاي معاً، وأحسَّت كل واحِدة بأنَّها غدت أنيسة الأُخرى.

* * *

كانت الساعة قد بلغت التاسِعة صباحاً عندما استيقظَت مِن النوم على نغمة هاتفها، مدَّت يدها وفتحت الخط ليتناهى إلى سمعها صوت السَّائق وهو يُخبِرها بأن رئيس التحرير سوف يستقبل ضيوف الندوة في مكتبه اليَوم ليُطلعهم على ما استجدَّ بشأن البرنامج، وقال: معنا ساعة واحِدة يا أستاذة حتى نكون هُناك، وأنا بانتظارك في السيارة.
جلست في السرير وقالت: تمام يا أستاذ بهجَت.
وعلى الفَور ربتت على كتف غالية التي كانت مُستَغرِقة في لفائِف النوم بجوارِها وقالَت: غلّولة.. غلّولة.. وعندما فتحَت عينَيها، قبَّلَتها وقالَت: انهضي لكِ عندي بشارة.
هبَّت جالِسةً على السرير وقالَت: هه ما هي يا رَوعة؟

أخذتها في حضنِها وقالَت: مبروك حبيبتي سوف نجتمع اليوم مع رئيس التحرير.
قالت: صحيح.؟
وفي تلك اللحظات رنَّ هاتفها أيضاً، وأخبرها سائقُها بذات الكلام، فطلبت مِنه أن يأتي إلى شقَّة رَوعة كي يُعيدها إلى شقَّتها حتى تتهيَّأ. احتضنتا وتباوَستا مِن جديد على أمل اللِقاء بعد ساعةٍ في الاجتماع.

خرجَت رَوعة إلى حيث السيَّارة التي كانَت بانتظارِها، وعندما لمحها السائق قادِمة، قذف السيجارة التي كان يُدخِّنها، ونزل على عجلٍ، وفتح لها الباب الخلفي قائِلاً: تفضَّلي أستاذتنا.
حينَ التقَت نظراتُها بنظراتِه، دهمها شعورٌ غَريبٌ بالفَزع، فجفلَت ولبثت واقِفةً على قدَمَيها لِلَحظات وهي ما تزال تنظر إليه، فكرَّرَ قوله: تفضَّلي أستاذتنا.
أحسَّت بعدم ارتياحٍ لِنبرة صوتِه الثقيلة والبطيئة، يخرج الصوتُ مُترهِلاً مِن حنجرتِه، وتشعر بعدم ارتياحٍ لسماعِه، ولم يسبق لها أن أحسَّت بذلكَ خلال الفترة الماضية وهي تتبادل معه الحديث.
فقالَت وهي تنظر إليه ما يزال فاتِحاً الباب بانتظار أن تدخل السيَّارة: ما كان مرض السيِّد رئيس التحرير؟
قال بذات النبرات المُترهلَّة الثقيلة: تشمّع في الكبد يا أستاذة.

تأكَّدَت مرّةً أُخرى مِن إحساسِها تِّجاه الصوت، ولبثت واقِفةً تصوَّب إليه نظراتها بعمق كما لو أنَّها تراه لأوَّل مرَّةٍ، تنظر إلى أنفه الكبير البارِز إلى الأمام، إلى وجهِه المصفرّ وهو يشعر بإرباكٍ ويُحاول أن يتجنَّب نظراتها المُحدِّقة فيه.

راودها شعورٌ بأنَّه فقد وزنه، وأنَّها إذا نفخت عليه نفخة، سوف يرتفع إلى السماء كبالونة. وبغتةً قبضَت بباطِن كفها على كتفه، فارتعدَ واصفرَّ وجهه، وصار يرتجف وهو ينظر إليها نظرات مواربة. وبعد قليلٍ نزع كفَّها عَن كتفه، وسارع إلى السيَّارة ومضى بِها كسهمٍ طائشٍ.

لبثت في الطريق لا تعرف ماذا تتصرَّف، وبعدَ قليلٍ مضت في الشارع، كانت السماء مُلبَّدة بالغيوم الداكِنة، مضت وهي تشرد غير منتبهة إلى المسافة التي قَطَعتها، وعندما بدأ المطر يهطل بغزارة، انتبهت لذلك، فاستدارَت عائدة تسرع بخطواتِها تحت شدَّة المطر ودمدمة الرعود المُترافِقة بِسنا البروق وأزيز الرياح الشديدة، تُهرول دون توقّف حتى وصلت الشقَّة وقد ابتلَّت تماماً بالمطر، فتحت الباب وهي ترتجف خوفاً وبرداً وقلبها يهبط بسرعة كما لو أنَّه باتَ على وشك أن يخرج من صدرِها.

خلعت ثيابها، استبدلَتها بثيابٍ جديدةٍ، رمت بجسدِها المُنهَك على أريكة ولا تدري كيف غَفت. عندما فتحَت عينَيها، نهضت إلى النافِذة، كان المطر قد توقَّف، وبدأت خيوط

الشمس تنتشر في الطرقات. أحسَّت بشكلٍ مفاجئٍ بأن الجدران تقترب منها، تحاصرها، تكاد تطبق عليها، هرعت مذعورة إلى الباب، خرجت إلى الشارع، بعد خطواتٍ، توقَّفَت وعادت صوب الشقَّة، قبل وصولِها إلى الباب، استدارَت مرَّة أُخرى إلى الشارع، مشت وهي تُحاول أن تُخفّف عَن نفسِها الاضطراب،
لدى وصولِها إلى موقف لوسائط النقل الداخلي، توقَّفَت أمامه للحظات، جلست على المقعد الخشبي للموقف، أمضت نحو نصف ساعة في الجلوس وهي متوتّرة. بغتةً تذكَّرَت غالية، خبَّطَت بكفِها على ساقِها وقالت: يا لي مِن معتوهة، كيفَ نسيتُ غالية؟!.
مدَّت يدها بسرعة إلى حقيبتها كي تُخرج الهاتف لتتّصل بِها.
بحثت عَن الجِهاز، أخرجت كل ما كان في الحقيبة، ولم تَجده، تذكَّرَت بأنَّها قبل أن تستحم، وضعته في الشاحن عندما لمحت البطارية ضعيفة، سارعَت تخطو إلى الشقَّة، لدى وصولها إلى الباب، مدَّت يدها إلى الحقيبة لتُخرج المِفتاح لكنَّها لم تعثر عليه.
قالت: اللعنة.. ما ذا حصل لي اليوم.. وضعتُ المِفتاح في الحقيبة عندما خرجتُ مِن البَيت وأقفلتُ الباب خلفي.
جلست على عقبَيها، أفرَغت مرَّة أُخرى كل محتويات الحَقيبة دون أن تجده. خطر لها أنَّه ربما سقط مِنها حين أفرغت

الحقيبة في الموقف وهي تبحث عَن هاتفها. عادت تخطو مسرعة توزّع نظراتها على الطريق حتى وصلت إلى المَكان، وقع نظرُها على المِفتاح الذي كان يلمع من تحت المقعد، التَقَطَته بسرعةٍ وعادت تهرول إلى الشقَّة.
فور دخولها هرعت إلى الهاتف الذي كان في الشاحِن، أجرت اتِّصالاً بغالية، لكن بدا خطها مُقفلاً، أحسَّت بإحباط، غدت تُكرّر الاتّصال دون جَدوى.
زادها ذلك اضطِراباً وقَلقاً، فما الذي دعاها كي تفصل هاتِفها عَن الخِدمة، بعد لحظات تمتمت وهي تُحاول أن تُهدِّئ نَفسها: ربما أغلقته بسبب حضورها الاجتماع.
تخيَّلَت منظر السائق بهجت وهو يفرّ هارِباً بتلك السرعة الجنونيَّة، همهمت في قرارة نفسها: لماذا تُضخّمين الأمور يا رَوعة، لعلَّه تحسَّسَ عندما وضعتِ يدكِ على كتفه.
اقتعدت زاوية مِن السَرير، خطر لها أن تتَّصل بِه، مدَّت يدها إلى الهاتف وأجرت الاتِّصال، رنَّ الهاتف وهي تستمع وتتوقَّع أن يفتح الخَط، لكن توقَّف الرنينُ دون أن يردّ، عاودَت الاتِّصال، فوجِئَت بأنَّه حظَر رقمها.
وضعَت وجهها في راحتَي كفَّيها، أغمضَت عينَيها في مُحاولة لضبط ذهنها المُشوَّش. انتفضَت عندما تناهى رنينُ الهاتف، رمقت الشاشة بنظرةٍ سريعة، كان الرقم غريباً، فتحت الخط، قالَت بنبرةٍ خافتةٍ وريقٍ جافّ: ألو..

جاء صوتٌ أنثويٌ: أستاذة رَوعة..
قالَت: نعم.
قالَت: معكِ أناهيد، مُنسِّقة النَدوة
قالَت: أهلا بك حبيبتي تذكَّرتك.
قالَت: أتحدَّث معكِ مِن هاتفٍ آخر لذلك لم يظهر اسمي عندكِ
قالَت: صحيح، رقمك السابق محفوظٌ في هاتفي.
قالَت: انتظرناكِ لحضور الاجتماع الذي عقده رئيس التحرير، ولكن لم تحضري، عسى أن يكونَ المانعُ خيراً.
ارتَبَكَت، وتلعثمت في الكلام دون أن تجد جملة مضبوطة، فأردَفت المُنسِّقة تقول: لكن لا بأس، انتهى الاجتماع منذ لحظات، وتم الإقرار بافتتاح النَدوة عند الساعة العاشرة مِن صباح يوم الغَد. وبهذه المُناسبة، وعند انتهاء الاجتماع، دعا رئيس التحرير جميع الحاضرين إلى تناول وجبة غداء جماعية بحضوره، والدعوة موجَّهة لكِ أيضاً.
قالَت: أتشرَّف.
قالَت: وسيكون لي شرف التعرّف عليكِ عَن قُرب بعد أن قرأتُ قصصكِ القصيرة المنشورة في المجلَّة، وتأثَّرتُ بِها. اتَّصلي بالسائِق بهجت المُكلَّف بخدمتكِ، وسوف يأتي بكِ حالاً إلى المكان الذي نتواجد جميعنا فيه.
أرادت أن تقول لها بأنَّه قد حظرَ رقمها بعد الموقف الذي حصل بينهما، ولكنَّها تَردَّدَت.

وعندما أغلقت الخط، أجرت الاتَّصال على الفَور مع بهجت، وكان خطّها محظوراً، عاودَت الاتَّصال عدَّة مرّات ولكن دون جدوى. ثم خرجت لعلَّه يكون مُنتظراً في الشارع كعادته، ولكنَّها رأت مكان السيَّارة فارِغاً.
وعادَت تصعد الدَرَج إلى الشقّة، ولدى دخولِها ترامى إلى سمعها رنين الهاتف فسارعَت إليه ورأت رقم المُنسِّقة الجديد، ولكن انفصل الاتِّصال، وبعد لحظاتٍ عاد الرَّنين مرَّةً أُخرى، وسألتها المُنسِّقة عَن سبب تأخّرها، فقالَت: السيارة غير موجودة أمام الشقّة، وهاتف السائِق لا يرد.
قالَت: لا عليكِ، سوف أتَّصل به بنفسي، وسأرسله لك حالاً.

الفصل السادس

(أنينٌ خافت)

بعد نَحو ربع ساعةٍ، رنّ هاتفها، رأت اسم السائق بهجت على الشاشة، فتحت الخط لتسمع صوته: أنا بانتظارك أمام البناء يا أستاذة.
أرادت أن تخرج من حالة الاضطِراب التي كانت فيها، فاستحمَّت وارتدت تنورتها الجينز ذات اللون الأزرق، المنسدلة إلى الركبتَين، وارتدت عليها كنزة قطنية بيضاء، ثم سرَّحت شعرها بعناية أمام مرآة الخزانة الطويلة، ووضعت بعض المساحيق على وجهها وشفتَيها، ثم ابتعدت وصارت تنظر إلى نفسها في المرآة، وتحقَّقَت من إغلاق الأزرار المعدنيَّة لمقدِّمة التنورة، ثم التفتت لتنظر إلى مظهرها من الخلف، وقد بلغت خصلات شعرها الأشقر إلى منتصف ظهرِها، وعند ذاك، بخَّت بعض العطر حول كتفَيها وحملت حقيبتها الخمريَّة وخرجت بنشاطٍ، ومضت صوب السيَّارة، وعندما لمحها قادِمة، نزل على عجلٍ من السيارة وفتح لها الباب الخلفي، ثم أحكم الباب برفق بعد استقرارِها في الجلوس، وانطلق بِها يقود بين الطرقات دون أن ينبس ببنت شفة.

بعد نحو نصف ساعةٍ مِن المَسير دون أن يتحدَّث أحدهما مع الآخر، رأته يخفض مِن سرعة السيَّارة، ويميل إلى رصيفٍ

حتى توقَّفَ بجانب بناءٍ حديثٍ، ثم ما لبث أن نزل بسرعةٍ وراح يفتح لها الباب، وهو ما يزال يواري عنها وجهه.
لدى نزولِها مِن السيَّارة، تقدَّمَت إليها امرأةً خمسينيَّة سوداء البَشَرة كانَت واقِفة أمام مدخل البِناء، بدت بأنَّها الخادِمة، رحَّبت بها وهي تدعوها إلى الدخول.
نظرت رَوعة حَولها إلى الشارع الساكِن مِن الحَرَكة، ثم خَطَت إلى الداخِل، ومضت مع المرأة في ردهة البيت حتى أوصلتها إلى غرفةٍ مفروشةٍ بعناية، تتوسَّطها مائدة عليها فاكهة وحلوى، وطلبت منها الجلوس.
قالَت: أين الضيوف؟
فلم تردّ المرأة، وعندما كرَّرَت القَول، تبيَّن لها بأنَّها طَرشاء.
جلست على كرسيٍّ مصنوعٍ مِن خشب الخيزران، في الغرفة الغارقة في الصمت، فودَّعتها المرأة وخطت إلى الخارج.
لبثت جالسة وهي تتأمَّل أشكال الزخارف الفخمة في المكان، وقبالتها لوحة تشكيليَّة لامرأةٍ عاريةٍ مِن الخلف.
بعد نحو ساعةٍ مِن جلوسِها، خرجت تنظر في مساحة البيت، ولم تجد أحداً، فعادَت وجلست في موضِعها، وعند المَساء، تناهَت إلى سمعها طرقاتٌ خافِتةٌ على الباب، دلَفَ على إثرِها شخصٌ مَربوع الهيئة، أحمر الوجه تظهر عليه بقعٌ مِن النمش، ذو عينَين جاحِظَتَين كبيرتَين، وشاربٍ كثيفٍ صَبَغه باللون

الأسود الفاحِم مع شعره، يرتدي بذلة كاكيَّة بدون ربطة عنق، وقد لفَّ حول رقبته لفحةً بلون البذلة.
بدا أمام ناظرَيها رجلاً بلا هيبة، ولا تدري لماذا لم ترتح لِملامِحه التي بدت قاسية، تقدَّم الرَّجل، مدَّ يده يُصافِحها وقد ارتسمت بسمة مصطنعة على ثغره، ورائِحة عطر العَنبَر تفوحُ مِنه بقوَّة، فمدَّت يدها وصافحَته، قال وهو يُرحِّب بها: أهلاً وسَهلاً بك أستاذتنا الكبيرة رَوعة، صاحِبة القصص البديعة.
ثم دعاها إلى الجلوس، وهو يقتعد كرسيّاً قبالَتها وأردف يقول: لكِ من اسمكِ نصيبٌ، أنتِ رَوعة، وقصصكِ رائِعة.
قالَت: شكراً لك يا أستاذ.
في تلك اللحظات، طُرِقَ البابُ بخفوتٍ، دخَلَت الخادمة وقدَّمَت كأسين مِن عصير المانجو فيهما قطع الثلج.
قال: تشرَّفتُ بمعرفتكِ الشخصيَّة بهذه المُناسبة، وتتشرَّف مجلَّتنا بمساهماتكِ القيِّمة فيها.
وأردف يقول: لعلّكِ لا تعرفينني، وهذا مِن حقّكِ لأنَّني لا أحبُّ نشر صوري ولا اسمي، وأكتفي بذكر صفتي تحت المقالات التي أكتبها.
عند ذاك أدركت بأنَّه رئيس التحرير، فنهضت واقِفةً على قدمَيها وقالَت: المعذرة يا سيِّدي، لم أعرفكَ، أرجو أن تقبل

معذرتي الشديدة، الحمد لله على سلامتك، سمعتُ بأنَّكَ كنتَ مريضاً.

دعاها إلى الجلوس مرَّةً أُخرى، وقال: وعكة صحيَّة ومضت بسلام، ثم أردف يقول وهو يتناول العَصير: أصدرتُ قراراً باعتمادكِ مندوبة لمجلَّتنا في مدينتكِ، وعندما تعودين بعد انتهاء أعمال الندوة، حاولي أن تجدي مقرّاً في موقعٍ مُناسب وسط المدينة التي تسكنينها، وسوف نشتريه ونفتتحه حتى تكوني رئيسة مكتب المجلَّة في بلدكم.
قالَت: هذا شرفٌ رفيعٌ أعتزَّ بِه يا أستاذنا.
وهي تنظر إليه، دهمها شعورٌ غريبٌ بأنّه كائنٌ آخر غير الإنسان، ولكنَّه يتبدَّى لها على هيئة إنسان، ثم أن نظراته إليها مِن عينَيه الجاحِظتَين الكبيرتَين لم تكن نظرات عاديَّة، بل نظرات ثاقِبة تُفزِعها حتى أنَّها أصبحت على وشك أن تصرخ: أزح نظراتكَ عنّي.
رأت يده تمتدّ إلى عنقود الموز، حزَّ واحِدةً، نزع عَنها قشرها إلى النصف، قال وهو يمدّ إليها الموزة المُقشَّرة وقَد أمسك بِها مِن الأسفل: سوف يكون لك راتبكِ المُخصَّص عَن دوامكِ في المكتب، إلى جانب تعويض استكتابكِ عَن زاويتكِ الثابِتة في المجلَّة.

شَكَرَته على البادِرة وهي تبدي استعدادها لتولّي هذه المهمَّة على أكمل وجه.
بعد قليلٍ، طُرِق الباب، فدخلَت الخادمة، وهي تقول: العشاء جاهِز سيّدي.
عند ذاك نهض، ونهضَت معه، وخرجا إلى حيثُ غرفةٍ أخرى، وعندما دخلت، رأت مائدة عامرةً بأصناف الطعام والشراب يتوسّطها ديكٌ روميٌ مُحمَّر، وفي ركن آخر يوجد سريرٌ أنيق. وكانَت ثمَّة موسيقى هادئة تنبعث في الأجواء.
هبط قلبُها وتوجَّسَت خَطَراً مُحدقاً، فقالَت: لو أذنتَ لي سيادتك، أريد أن أعود إلى الشقَّة لأنَّني مُتعَبة جِدّاً.
قال: انتقَلَتْ إقامتُكِ إلى هذه الفيلا، لأن مقامكِ أعلى من الإقامة في شقَّة يا أستاذة رَوعة، ثم وقف واتَّجه نحو خزانة ثيابٍ وفتحها فرأت كل ثيابها واحتياجاتها مُرتَّبة بعنايةٍ داخل الخِزانة، وكانت حقيبتها في الأسفل.
أعاد غلق باب الخزانة وعاد إلى موضعه وقال:
سترتاحين هُنا كثيراً، وسوف يلبّي السائِق كل طلباتكِ، ويوجد لديكِ خَيار في تبديله إذا لم يكن مُريحاً بالنِسبة لكِ، وعندها سوف نسحب منه السيَّارة ونُسلِّمها لسائقٍ آخر.
قالَت: متى موعد افتتاح الندوة؟
قال: صباح الغَد.

فجلَسَت إلى المائِدة تتناوَل الطَعام وهي غير مُستقرَّة، وجلسَ قبالَتها، ومع تناول الطعام، نزع بالشوكة قطعةً من صدر الديك وقدَّمها، فمدَّت يدها إلى الشوكة وهي تشكره، لكنَّه أصرَّ أن يضع هو القطعة في فمها، فاستجابَت وهي تَكرّر شكرها له.
بعد قليلٍ نهضَ واقِفاً على قَدَمَيه، واتَّجه إليها، فوقفت وهي تُحدِّق إليه وهزَّت رأسها علامةً بالاستفسار، أمسكَ بيدِها، وأشارَ لها كي تمضي نحو السَّرير، فقالَت: مِن فضلك أريد أن أخرج مِن هُنا.
ثم أدارَت ظهرها وخطَت نحو الباب، فلحق بِها وأمسكَ بكتفيها مِن الخلف.
قاوَمَت وهي تُحاول أن تنزع يدَيه عن كتفَيها قائلةً: اتركني.
لبث متشبّثاً بعزمٍ وهي تُقاوم، وبغتةً أدارها بحركةٍ سريعة إليه،
وسدَّدَ صفعةً مدوّيةً على وجهها.

كانت المرَّة الأولى التي تتلقَّى فيها صفعةً في حياتِها، واستدارَت مرّة أُخرى، فتحَت الباب وجرت وهي تصرخ وتستغيث، فهرع إليها، وأنقضّ على شعرِها مِن الخَلف، قالَت: دعني يا حيوان. سحبها مِن شعرِها إلى الغُرفة، لطم وجهها بيدِه الأخرى حتى قذفَ بِها على السَرير.

عندها انقضَّت بأظافِر يدَيها وغرزَتها في وجهِه، فنزع يديها قائِلاً: يا ابنة الحَرام. ثم ابتعدَ عَنها وهو ينظر إلى أصابعها المُدمّاة، راح صوب المرآة ينظر إلى وجهه الذي اغرورقَ بالدَّم.
عند ذاك هرع إلى الخارج بسرعةٍ وأقفل الباب خلفه، وبعد قليلٍ عاد يحمل سوطاً، صارت تتهرَّب منه في مساحات الغُرفة، أمسكت بمائِدة الطعام وقلبتها باتجاهه بكل ما أُوتيَت مِن عَزم، أُصيب ببعض الجروح نتيجة كسر بعض الأواني الزجاجيَّة. وثب إليها حتى حاصرَها في زاويةٍ، انهال عليها بالسوط حتى خارَت قواها، واستسلمَت وهي تُصدِر أنيناً خافِتاً.

قذفَ السوط من يده صوب الباب، ورأته ينزع ثيابه قطعةً إثر قطعةً حتى تعرَّى تماماً، ثم مدّ يدَيه كي ينزع عنها الثياب، فأبدَت مَقاومةً بقوَّتِها الخائِرة، أخذ شعرها بقبضته وسحبها وصار يركلها بقدَمَيه حتى فقدت الحركة.
ثم رفعها مِن كَتِفَيها وصار ينزع عنها الثياب قطعةً قطعةً حتى آخر قطعة، وأعادها إلى السرير ثانيةً.
وفي تلكَ اللحظات فتحت عينَيها وقد استردَّت شيئاً من وعيها، وبغتةً انقضَّت على كتفه وعضَّته، فصار يركل على رأسها حتى تركته بعد أن انغرزَت أسنانها في كتفه.

فهرول إلى الخارِج كسهمٍ طائشٍ وهو يُقاوم الألم الشديد إثر النزيف الذي أخذ يسيل مِنه.
فوجئ بالخادِمة التي كانت جالِسة أمام غُرفتِها على كرسيّ، وقد هبَّت واقِفةً وما لبثت أن حَجبَت عينَيها بوضع كفِها عليهما، فأدرك للتوّ بأنَّه مِن هَول الألم نسي أن يرتدي ثيابه، فعاد أدراجه عارياً وحافياً إلى الغُرفة وهو يلهث، ارتدى ثيابه على عجل وانتعلَ حذاءه، ثم بصق عليها وخرج.

* * *

استلقَت على ظهرِها في السرير، وبعد قليلٍ أغمضَت عينَيها المُرهَقَتَين على سماع نقيق الضفادع المُنبعث من حول البيت، وما لبثت أن غارَت في سُباتٍ عَميق لم تستفق مِنه إلّا على نبرات صوت تلك المرأة وهي تربت على كتفها قائلةً: سيدتي.. سيدتي..
وعندما فتحَت عينَيها، سمعتها تقول: الفِطار جاهِز.
نهضت مِن السَّرير، وتذكَّرَت ما حصل، ورأت الغرفة نظيفة ولا آثار لكل ما كان على الأرض من الطعام والأواني المحطَّمة.

راحت تستحم، بينما قامَت المرأة باستبدال ملاءة السَّرير، بملاءة حريرٍ جَديدة، ثم أدخلَت مائِدة مُتحرِكة عليها طعام الإفطار، وخَرَجَت.

بَعد أن فرَغت مِن تناول الطَعام، نهضت ومدَّت يدها إلى قبضة الباب، فرأته مَفتوحاً، مدَّت خطوات وئيدة إلى ردهة البَيت الأنيق، ولم تقع عيناها على أحدٍ، ولم تسمع أذناها صوتاً واحِداً كما لو أنَّها في كهفٍ مهجورٍ.
عادَت إلى الغُرفة، وكانَت المرأة قَد أخرَجَت المائِدة المُتحرّكة، استَلقَت على السَرير، وبعدَ قليلٍ شغلت التلفاز، وصارت تتفرَّج على فيلمٍ وثائقيٍّ للمناظر الطبيعيَّة في العالَم.
أمضَت على ذلكَ يومَين، دون أن ترى أحداً سوى تلك المرأة، تأتي لها بوجبات الطعام وتستبدل ملاءة السرير.
وفي مساء اليوم الثالث، جاءت تلك المرأة وأعدَّت المائِدة بأصناف الطعام والشراب، وبعد خروجِها بقليلٍ، رأته داخِلاً إليها، فقالَت على الفَور وهي ترمقه بنظراتٍ نسريَّةٍ: أخرجني مِن هُنا، أريد أن أعود إلى بَيتي.
هزَّ رأسه وقال: ستعودين ومعكِ مكافأتكِ المُجزية.
قالَت: لا أريد منكَ شيئاً، واعتبرني مُستقيلة مِن المجلَّة.

مدَّ يده يُداعِب خصلات شعرِها، وقال: لن تخرجي مِن هُنا إلّا وأنتِ راضية كل الرضى، خفّفي مِن حدَّتكِ أستاذَتي العزيزة أفضل لكِ ولي.
ارتدَّت إلى الوراء، وتقدَّم إليها بعينَيه الجاحِظتَين، مَسدَ بكفِّه على وجهِها، فدفعت الكفّ، وبغتة لكمها بقبضة يده الأخرى لكمةً شديدةً، ثم انهال عليها باللكمات والركلات حتى استَسلَمَت ووقعت على الأرض مُنهارة.
عند ذاك حملها ووضعها على السَّرير، واتَّجه إلى مائدةٍ صغيرةٍ متحرّكة كانت مستقرَّة في ركنٍ من الغرفة، سَحَبَها إلى حيث المائدة الكبيرة، وضع عليها زجاجة شراب مع كأسين وبعض المُكسّرات، وعلبة سيجار وقدّاحة، ثم أتى بِها إلى حيثُ السرير، وهي ترنو بوجلٍ شديدٍ إلى كل حركةٍ تبدر منه.
بعد لحظاتٍ، لَمَحَت كفَّه تمتدّ كسلحفاةٍ إلى علبة السيجار، فَتَحَها وسَحَبَ واحِداً، وأخذ ينَزَع عنه المُغلَّف الشفَّاف، ثم ما لبث أن التقطَ السيجار بشفتَيه، وأشعله بقدّاحةٍ أنيقة بدت أثريَّة، وبغتةً حدَّجَها بنظرةٍ وهو ينفث الدُّخَان الكثيف، فَجَزَعَت، وغدت أسنانُها تصطكُّ وهي ترنو إليه متوقِّعةً منه أيَّة حركة مفاجئة نحوها.

كانَت المرة الأولى التي ترى فيها السيجار رأي العَين، فصارت تختلس منه نظرات خافتة وقد وضع السيجار بين السبّابة والوسطى، يعبّ الأنفاس بشراهة وينثر الدخان الكثيف في الأجواء.

وبغتة نهض وهبَّ واقِفاً، فهبط قلبُها من الهلَع، وهي تُصوّب أنظارها إليه، رأته ينسحب نحو المائِدة الكبيرة، يحمل منفضةً ويعود يضع فيها السيجار.

ثم رأته يصبُّ كأسَين، ويناولها كأساً، فامتَنَعَت وهي تهزّ رأسها، وتضع كفَّها على فَمِها، فقبضَ على شعرِها وصار يشدَّه، وهي تتأوّه، وقد امتلأت أوصالُها بالرهبةٍ منه، وغدا يشدّ أكثر، فتتأوّه، ويشدّ أكثر، فتتأوّه أكثر حتى استجابَت، وصارَت تشرب.

عند ذاك سحب كفَّه التي امتلأت بالشعر، فوضعه جانِباً، وراح يحتسي المشروب، ويدخّن بفظاظةٍ، ويتناول المُكسّرات، وعندما فرغ الكأسان، ملأهما مرة أخرى، وصار يضعها في أوضاعٍ جسديَّة لم تكن سمعت بِها من قبل، وقد استَسلَمَت بين يدَيه تماماً.

بعد نحو ساعتَين من تلك الأوضاع، أمسكَ بيدها وسحبها إلى حيث المائدة، وصارَ يضع الفاكِهة والحلوى في فمِها وهي تأكل.

ثم أعادها إلى السَّرير، ووقع عليها كرةً أخرى بأوضاعٍ جديدة كانت تندهش لها، وأحياناً تشمئزّ منها، ثم فوجئت بِهِ يضع عقب السيجار على فخذها، فانطلقت منها تأويهة وهي تبكي قائلةً: أحرقتني.

تجلجلت به ضحكةٌ، وهو يعبّ الأنفاس تلو الأنفاس من السيجار، فنهضت عارية وابتعدَت عنه، ونهض إليها حاملاً السيجار في وضعية اللسع، وهي ترتجف وتقول: دعني.. لا تقترب منّي هه. وصار يلسع أنحاء جسدها وينظر متلذِذاً وهي تصرخ وتستغيث.
وما لبثَ أن أمسكَ بِها ودفعها بقوَّة إلى السَّرير، وصار يرفع الكأس إلى فمه، ثم يدسّه في فمِها.
كانت الساعة قد أوشكَت على الرابعة فجراً، عندما انقضّ يفترس نهدَيها بأسنانه، حتى صار الدم ينزّ منهما وهي تصرخ وتحاول أن تردعه، دونَ أن تتمكَّن مِن ذلك، وبعد قليلٍ رأته يتركها، يرتدي ثيابه ويخرج مترنِّحاً.

* * *

بدأت الجروح تلتهب عليها، وهي تُقاوم موجات الآلام التي أخذَت تجتاحها حتى غفت تحت سطوة وَخَزات الألم الشديدة.

ولا تدري كم من الوقتِ مضى حتى انتفضَت بفزعٍ متقطّعة الأنفاس، وقلبها يهبط بشدَّة.
أحسَّت بعطشٍ شديدٍ كما لو أنَّها لم تشرب الماء منذ دهر، وترافق ذلك مع صداعٍ شديدٍ في جانبَي الرأس، وكذلك بنوبة غثيانٍ شديدة.

التفتت حولها، وعندما رأت نفسها مستلقية على الأرض، أدركَت بالكاد أنَّها سقطت من السرير دون أن تشعر، نهضَت بتثاقل وراحت صوب المائدة ومدَّت يدها إلى عبوة الماء وأفرغتها في معدتها، ثم جرعت عبوة أخرى، وعادت إلى السرير ترتدي ثيابها، ومع ارتداء الثياب، اجتاحتها موجةُ الآلام مرة أخرى، فغدت تستذكر شيئاً فشيئاً وقائع ما حصل معها.
وعلى الفَور اتَّجَهَت إلى الباب وأدارت القبضة لتخرج، لكنها بوغِتَت به مقفلاً.
خطر لها أن تتصل مع السائق وتطلب منه أن يأخذها إلى إحدى الأماكن كما هي العادة، وراحت تهرول صوب المائدة التي كانت قد وضعت هاتفها عليه، عندما باشرَت في تناول العشاء، لكنها لم تجده، فعادَت خائبةً واقتعدَت طرفاً من السرير كما لو أنَّها في نار.

بعد نحو ساعةٍ سمعت صوت فتح قفل الباب، فحدَّجته بنظرةٍ حتى رأت المرأة تدخل وهي تنحني لها قائلة: صح النوم أستاذة، الفطار جاهِز.
فنهضت وأدرَكَت بأنَّها لا تستطيع أن تستحم بسبب الجروح في جسدِها، لكنَّها راحَت تغسل يدَيها ووجهها، ثم راحت تمشي في الممَرّ حتى سمعت صوت المرأة: الغرفة جاهِزة سيِّدَتي.
في تلك اللّحظات لا تدري لماذا دهمتها فكرة بقتل المرأة، حتى تحوَّلَت الفِكرة إلى هاجس، تخيَّلت بأنَّها فجأة تنقضّ على رقبتها وتوقعها أرضاً ولا تتركها حتى تلفظ أنفاسها الأخيرة.

عادَت إلى الغرفة ورأت كل شيءٍ مُرتَّباً، بَركت تتناول الطعام، وبعد أن فرغت، أحسَّت برغبةٍ في تدخين سيجارة، بحثت في الغرفة، ولم تَجد علبة دخان. رمقَت الباب المفتوح، وخرجَت مرَّة أُخرى ومضت تبحث عَن بابٍ للخروج مِن البَيت، لكن كل الأبواب التي طَرَقَتها كانَت مقفلة.
وبغتةً لمَحَت المرأة جالِسة في حجرةٍ، فتقدَّمَت إليها، وعندما رأتها، نهضت، وقالَت: تفضلي أستاذة.
نظرت مليّاً إلى وجهها الذي يكتنفه الوجوم، ففزعت المرأة وهي ترمق نظراتها، عند ذاك أشارَت لها بأنَّها تُريد أن تخرج مِن البَيت، فلم تفهم المرأة منها شيئاً، وبعد قليل، دخلت إلى حجرتها وأتت بقلمٍ ودفتر وطلبت مِنها أن تكتب ما تُريد.

فكتبَت: أُريد أن أخرج مِن هُنا.
قالت المرأة: حاضر، اتَّصلي مع السائق بهجت حتى يأخذك إلى المكان الذي تُريدين.
كَتَبَتْ: فقدتُ هاتفي.
قالت: تكرمي أستاذة سأتَّصل بِه الآن كي تتحدَّثي معه.
وما لبثت أن أخرجَت هاتِفها واتَّصلَت مع السائِق، وقالت: سيِّد بهجَت، الأستاذة تريد أن تتحدَّث معك.
ثم مَدَّت الجِهاز إليها، فتناوَلَته مِن يدِها وقالَت: سيِّد بَهجَت أريد أن تأتي إليَّ فوراً.
قال: حاضر، دقائِق وأكون عندك.
لبثت مُنتَظِرةً في حجرة المرأة حتى جاءَ السائِق، وعندما رآها، انحنى قائِلاً: أمركِ سيِّدتي.
ثم استأنف يقول: أرجو أن تكون الإقامة الجديدة أفضل، هذه الفيلا مُخصّصَة لإقامتك، ولا أحد يسكن فيها غيرك، وتوجد حديقة جميلة فيها ألعاب رياضية يمكن أن تستخدميها في أي وقت تريدين. والمجلة أرسلَت تعليمات للمطعم كي يرسل لك كل يوم الإفطار، والغداء، والعشاء، وهذه السيِّدة المُحتَرَمة مُتفرِّغة هُنا لخدمتك، وأنا بانتظار أي خدمة تطلبينها. عندنا تعليمات صارِمة من السيِّد رئيس التحرير بالاستِجابة لكل مُتطلَّباتكِ فوراً.
قالَت: أريد أن تأخذني مشواراً يا أستاذ بهجت.

قال وكأنَّه يلعب بالألفاظ: حاضر يا أستاذة.. نحن في الخدمة.
إذ ذاك تناهى رنينُ هاتفه، فقال: عن إذنكِ أستاذة. ثم فتح الخط وأخذ يبتعد بخطواتِه وهو يتحدَّث حتى توارى عَن أنظارِها.
تذكَّرَت في تلك اللحظات غالية، وكم رغبت لو تحدَّثَت معها، وحاولت أن تستذكر الرقم الذي خزَّنَته في هاتفها، ولكن لم تُفلح.

لبثت جالسةً في مكانِها نحو ساعتَين بانتظارِه، ثم نهضت وهي تشعر بتنميلٍ في قدَمَيها، واتَّجَهَت إلى غرفتِها بخيبةٍ.
استلقَت على السَّرير، وغارَت في غفوةٍ طالَت بها حتى سمعت طرقاتٍ على الباب، ففتحَت عينَيها، وراحَت تفتحه لترى المرأة تُخبرها بأن موعد الغداء قد حان، وما لبثت أن سحبَت المائدة إلى الداخل ووضعتها بجانب السَّرير واستدارَت خارِجةً وهي تلعق شفتَيها.
انتشرَت رائِحةُ الكَباب في الغُرفة، فجلست على طرف السَّرير، ورفعت خبز الصاج ليتراءى تحته الكباب الساخِن، فغدت تأكل بشهيَّةٍ حتى شبعت، ثمّ فتحت عبوة كوكا كولا، وأشعلت سيجارة، وبعد ذلك، استرخَت على السَّرير نحو نصف ساعة دون أن تغفو، فتذكَّرَت الحديقة، عند ذاك خرجت واتَّجَهَت إلى المرأة التي كانت جالِسة في حجرتِها، وعندما لمحتها، هبَّت واقِفة وهي تقول: أهلاً وسهلاً أستاذة.

فطلبت منها الدفتر والقلم، وكتبت: أريد أن أذهب إلى حديقة البَيت.
هزَّت المرأة رأسها وقالَت: أمركِ يا أستاذة. ثم رافقتها باتجاه الحديقة، وعند وصولِهما إلى باب الحديقة، ظهر بين الأشجار رجلٌ أحدب يرتدي أسمالاً رثَّة، كان يعمل في الحديقة وبيده رفش صغير، فأشارَت إليه المرأة بالخروج من خلال يدِها كما لو أنَّها تطرده.
فوضع الرفش جانِباً، وخرج من أمامهما بخطواتٍ سَريعة.
قالَت المرأة وهي تدعوها للدخول: تفضَّلي سيدتي، واستدارَت عائدة.
كان الطقس مُعتدِلاً بعض الشيء، ولم يكن البرد قارِساً رغم بعض النسمات الباردة، فغدت تستخدم بعض الأجهزة الرياضية بالقدمَين، واليدَين، ثم بَرَكَت على أرجوحةٍ وصارت تتأرجَح وهي توزّع نظراتها بين الخضرة الجميلة، وأصناف الأشجار والورود، ونافورة الماء، على إيقاع زقزقة العصافير.

* * *

عندما سحبت الشمس خيوطها الأخيرة عن أوراق الأشجار، وأخذت بدايات ظلمة الغروب بالانتشار، مال الطقس إلى

البرودةِ، برحَت متَّجهةً بأدراجِها إلى الغرفة، أمضَت فيها نحو ساعة في صمتٍ مُطبق، ثم راحت تستحم وهي تُعاني من الحروق عند وصول المياه إليها، وعادَت إلى غرفة النوم، استلقَت على السرير، واستسلمت باسترخاءٍ لغفوة.
عندما استفاقَت، رأت الساعة المُزخرفة المعلّقة على الحائِط قد بلغت التاسعة ليلاً.
عند ذاك راودتها رغبةٌ في احتساءِ كأسٍ مِن الشاي، فنهضَت وخرَجت إلى حيثُ المرأة وكتبت لها: أريد إبريقاً من الشاي مع القرفة، وعلبة دخان وقدّاحة.

طلبت منها المرأة أن ترتاح في غرفة الجلوس المُجاوِرة لِغُرفَتِها، وسوف تأتي لها بِما طَلَبَت، لأن عامل المطعم على وشك أن يصل حتى يعدّ مائدة العشاء. سرت قشعريرة في جسدِها، وأدركَت بأنَّه سيأتي الليلة.
بعد مكوثِها في الغُرفة نحو نصف ساعةٍ، جاءَت المرأة حاملةً ما طَلَبَت، فشكرتها وغدت تحتسي الشاي وتُدخِّن، وهي تتوقَّع دخوله في أيَّة لحظة، وعند ذاك ومضت لها فكرة لقتله، ففزعَت وهبَّت واقِفةً على قدَمَيها: نعم سأقتله، لأنَّني إن لم أقتله، سوف أتركه يقتلني ببطء، لقد فقدتُ الإحساس بالوقت، ولا أعرف كم مضى عليَّ وأنا حبيسة هُنا، أيُّ يومٍ هذا، أيُّ شهر، لا أعرف.

ثم أردفت تقول في قرارةِ نفسِها: سوف يقتلني ويرميني في مكانٍ ما بعيداً عَن هُنا حتى يتخلَّص منّي، إنه يوجِّه إليَّ ضرباتٍ قاتِلة بلا رحمة، يفترسني كوحش، لقد تسلَّط على حياتي.

عندما بلغت الساعة العاشِرة رأته يدلف إليها، فجَفَلَت ونهضت مرتعِبة.
طلب منها أن تجلس، وجلس هو الآخر، صبُّ لنفسه كأساً مِن الشاي، ثم سحب سيجارةً مِن علبة دخانِها، وأومأ لها كي تشعلها له، فمدَّت يدها إلى القدّاحة. في تلك اللحظات كم تمنَّت فيما لو تحوَّلت القداحة في يدِها إلى أنبوبٍ تنبعث منه نارٌ شديدة إلى وجهه. ضغطت على القدّاحة ودنت بالنّار إلى رأس السيجارة في فمه.
بعد أن عبَّ الرشفة الأخيرة من كأس الشاي، وأطفأ عقب السيجارة في المنفضة، تمطّى برغبةٍ وهو ينظر إليها، وما لبث أن نهض ودعاها إلى غرفة النوم.

تردَّدَت وقالت بأنَّها ستبقى في هذه الغرفة، فتقدَّمَ إليها، وبغتة سدَّدَ لكمةً إلى أنفِها بكل ما أوتي من قوَّة فغدا الدم ينزّ من أنفها وفمِها، ثم ما لبث أن انقضَّ بكفّه على شعرِها وصار يُجرجرها بعنفٍ إلى الغرفة وهو يصرخ بأعلى صَوته

ويشتمها، وفور إدخالها إلى الغرفة رمى بِها إلى السَّرير وجلس على كرسيٍّ وهو يلهث.
في تلك اللحظات وهي تَرمقُه وتلهث، ودَّت لو حملت سكّيناً وغرزتها في ظهره لتتخلَّص مِنه إلى الأبد.
فوجِئت بِه ينتصب واقِفاً، وبعد قليلٍ رأته يتقدَّم إليها ويجلس جوارَها على السَّرير ويبكي!.
لم تكن تُصدِّق بأن هذا الرجل يمكن له أن يبكي لو لا أن رأت الدموع تسيلُ مِن عينَيه. بدا أمامها واهِناً ومَهزوماً، فاندفع صوتٌ مِن حَنجَرتِها: ما بك؟!
جَفل إثر سماع نبرات صوتها، وما لبث أن وقف على قَدَمَيه، دنا منها وقد جفَّفَ دموعه، وأخذ ينزع عنها ثيابها قطعةً قطعةً ببطءٍ شديدٍ كما لو أنَّه يتفنَّن بذلك، بدت مستسلمة بين يدَيه وهي ترتعب وتحدجه بنظراتِها.
عند ذاك طلب منها بإيماءةٍ أن تقف على قدَميها دون ثياب، وعندما استجابَت، راح إلى المائِدة يجلس على كرسيٍّ قبالتها، يصبَّ كأساً، ويشعل سيجاراً، ويتناول بعض المُكسّرات، وهو يتأمَّل جسدها كما لو أنَّه أمام لوحة تشكيليَّة.
بعد نحو ربع ساعةٍ وهو ينظر إليها ويتناول الطعام والشراب، وينفث دخان السيجار، شغّل موسيقى راقصة من جوّالِه، وطلب منها أن ترقص.

لبثت ترنو إليه دون أن تستجيب، فانتفض متّجِهاً إليها، رَكَلَها بقدمه بعنف، لترتطم بظهرِها إلى الحائِط، ثم تقع على الأرض مُنهكة.
صرخ بها أن تنهض، وهو يشتمها، فاستجمعَت بقايا قواها الخائِرة ووقفت تترنَّح.
عاد على الفور إلى كرسيّه وطلب منها أن ترقص، وقد رفع صوت الموسيقى، فبدأت تستجيب وتبدي حركات راقِصة وهو يصفّق ويتناول الطعام والشراب، وتستجيب لِما يطلب منها من حركاتٍ.
نهض وهو يترنَّح من السُكر، حملها على يدَيه كما لو أنَّها حمامة، أتى بِها إلى السرير، وأعدّ المائِدة الصغيرة بِما يريد.
صبَّ كأسين من الشراب، وناولها كأساً، فتردَّدَت. سدَّدَ إليها نظرةً وما لبث أن لَطَمَها بظاهِر كفّه بكل ما أوتي من عزم، ثم انقضَّ يضغط بأصابِعه على رقبتِها وهو يفحّ بصوتٍ ثملٍ: سوف أخنقكِ إذا رفضتِ لي أيَّ مطلب.

عند ذاك أخذَت الكأس وصارت تجرع، وتستجيب للأوضاع الغريبة التي يريدها، وتلفظ العبارات المُثيرة التي يطلب أن تُردّدها.

ورأته يضع سيجاراً في فمِها ويُشعله لها، ثم يعبُّ منه أنفاساً ويقول: هذا السيجار طعمه مختلف لأنه خرج من بين شفتَيك يا غاليَتي.
همهمَت: غاليتك وتفعل بي كل هذا؟!
قال: أكره العِناد في المرأة، إذا سمعتك تقولين لي: لا. في أي شيءٍ أريده منكِ، سوف أذبحكِ بخنجر وأرمي جثتكِ خارج المدينة للكلاب.
ودفَعَ رأس السيجار المشتعل إلى ساقِها، فجفَلَت وأطلقت صرخةً مدوّيةً، وهي تحاول أن ترفع السيجار عن ساقِها دون أن تتمكَّن من ذلك، وهو يغرز السيجار المشتعل بقوَّة ويطلق قهقهاته الهستيرية المجلجلة حتى انطفأ السيجار.

بعد قليل وقع على صدرِها ينهشه بأسنانِه، وهي تُقاوم حتى بدأت الدماء تنزّ من مساحة صدرِها ومن نهديها بين فكَّيه، فتركها وهو يلعق آثار الدماء من شفتَيه.
استلقى بظهره على السرير وصار ينظر في السقف، وهي جالِسة بالقُرب منه ترتعد بكل أعضائِها، وتصوّب نظراتها الوجلة إلى عينَيه الجاحِظتَين تارةً، وإلى سائِر جسده تارةً أخرى، ثم تنظر إلى أنحاء الغُرفة المُحكَمة.

بدا كل ما فيه وما في المكان مبعثَ فزعٍ ورعبٍ لها، وغدت تشرد كيف أنَّها وضعت نفسها بنفسِها في هذا الفخ الذي لم تعد قادرة على الخروج منه.
جَفَلَت عندما تحرَّك، ورائحة الكحول تفوح منه بقوَّةٍ. فرَّكَ عينَيه، وأشار لها أن تجلب ماءً. فنزلت من السرير، وجلبت له عبوة ماء كانت على المائدة، فتناولها على عجل وصار يشرب بنهمٍ، ثم نهض وارتدى ثيابه، ومضى نحو الخارِج وهو يترنَّح، وفي أثناء خروجه، اصطدَمَ بالمائِدة الكبيرة، وتردَّى على الأرض.

نَظَرَت إليه بذهول وهو مُنقلبٌ على ظهره، وبعد قليلٍ تحرَّكَ وهبَّ واقِفاً على قدَمَيه. حدَّجَها بنظرةٍ من عينَيه البارِزتَين، تقدَّم إليها، ثم بصق على وجهها وخرج وهو يصفّق الباب خلفه بقوَّة.

عند ذاك اغرورقَت الدموع في عينَيها وهي تنتحب وتهمهم: أين أنتَ يا عبد السَّلام، حتى أقبّل حذاءك وأستسمحك كي أعود إليك ولو خادمة ومربّية للطِفلَين، أين تلك الأجواء الرائعة التي لم أعرف قيمتها، وتمرَّدتُ عليها، أيُّ شيطانٍ وسوس لي حتى أوصلني إلى ما أنا فيه الآن. وأخذ نقيقُ الضفادع يعلو ويتصاعَد كمقطعِ صاخبٍ من سيمفونيَّةٍ، وهي

تصغي إليه حتى بدأ يخفت وينقطع، فأدركت بأن خيوط الشمس بدأت تنتشر في الأفق.

عندما أدخَلَت المرأة لها طعام الإفطار، كتبت لها على ورقةٍ بيضاء: أريد أن أتحدَّث مع السائِق.
قالَت: حاضر سيّدتي، لدينا تعليمات من السيّد رئيس التحرير بأن نُلبّي كل طلباتك دون تأخير، أنتِ ضيفة عزيزة وغالية.
وما لبثَت أن أخرجَت هاتِفها من جيبِها، ودقَّت للسائِق، ثم ناولَتها الهاتف.
بعد قليلٍ ترامى صوتٌ مُتعبٌ يخرج بالكاد: أللـلـلـوو..
فقالَت: كيفك سيّد بهجت، وأردفَت تقول: أريدكَ أن تأتي فوراً حتى تأخذني في مشوار.

قال بصوتٍ مُتعَبٍ كَسير: أهلاً وسهلاً أستاذة، لسوء حظي لا أستطيع أن أحضر كي أتشرَّف بتقديم الخدمة لكِ، لأنني الآن أتعالج في المُستشفى من مرض كورونا.
قالَت: عليكَ العافية سيّد بهجت.
جاء صوته: عند خروجي من المُستشفى، أكون بخدمتك سيّدتي الكريمة.
أعادَت لها الهاتف وكَتَبَتْ لها على الورقة: أريد أن أخرج من هُنا، والسائق مريض.

قالَت: تحت أمركِ، إذا تأخَّر علاج السائِق، لابدّ أن يُخصّص لك السيِّد رئيس التحرير غيره حتى يقوم بخدمتك في المشاوير الخارجيَّة، لكن للأسف حالياً لا يوجد سائق يأخذك في المشوار.
أحسَّت بأن الضَجَر يخنقها، وشرَدَت كيف يُمكن للإنسان أن يأتي بنفسه ويضع قدَمَيه في فخّ لم يعد قادِراً على الفَكاك مِنه، وتبقى حياتُه بأكملِها مرهونة بذاك الفَخّ.
في المساء، وفي الميقات ذاته من الليل، وبينما كانَت جالِسة في الغُرفة الثانية، بَغتةً أدار قبضة الباب وأدخل جَسَده، فارتاعَت وتخيَّلَت بأنَّه أسوأ رجل في العالَم، وفي لحظةٍ وهي تُحدّجه بنظراتٍ نسريَّةٍ أحسَّت بأنَّها تُريد أن تفترسه بأسنانِها، وهمهمَت في داخِلها: مَن أنتَ لتتحكَّم في حياتي، وتفعل بي كل هذا.

دنا بخطواتٍ وئيدةٍ منها دون أن يتفوَّه بكلمةٍ واحدةٍ، فنهضَت بفزعٍ من الأريكة وغدت تتراجَع إلى الوراء وهي ترتعد.
تقدَّم إليها حتى حاصرَها في الزاوية وصار يرمقها بشهوةٍ ويمطّ ذراعَيه، وما لبث أن وضع راحتَي كفَّيه بِعَزمٍ على حائطَي الزاوية حولها، وقد افترَّت شفتاه ببسمة، وهي ترتَعد بذعر كما لو أنَّها حُوصِرَت بغتةً من وحشٍ مُفترِس يُريدُ أن ينهشها.

بعد قليلٍ أخذها في حضنه، وعند ذاك اندَفَعَت إليه رائحةٌ كريهةٌ من جسدِها، فارتدَّ إلى الخَلف وقال: الحمّام جاهز، لماذا لا تستحمّين؟
قالَت: جروحي تلتهب عندما يصلها الماء.
انقضَّ على شَعرِها وصارَ يُجرجرها خلفه حتى دَفَعَها إلى الحمّام، ثم نزع عنها ثيابها وهي تُقاوم، وتقول: اتركني يا خنزير.

فتح الماء وصار يدلّك جسدها بالليفة والصابون وهي تصرخ من الآلام التي تلتهب من الجروح والحروق، ثم أخذ قطعة الصابون وصار يدلّك جسدها، ويقهقه وهي تزداد صراخاً.
ثم سحب ممسك الدش، وأخذ يضخّ الماء بقوَّةٍ إلى جسدِها حتى استَسلَمَت خائِرة القوى وقد تكوَّرَت في زاويةٍ مِن الحمّام.
دَنا إليها وهي تُصدر أنيناً خافِتاً، وبغتةً ركَلَها بقدمِه، وقد اندفَع منه صوتٌ أجشٌّ: انهضي يا حلوتي. فانتصَبَت واقِفةٍ وكل عضوٍ فيها يرتعد.
تناول البشكير وصار يُنشّف جسدها، ثم ضمَّها إلى حضنه وهو يتغزَّل بِها ويُقبّل عينَيها، مرَّةً أُخرى بدا أمامها ضعيفاً، ويبكي في حضنِها وهما في الحمّام. فانقضَّت على شعره وصرخت: أنتَ مجنون، كفى دعني بحال سبيلي.

صار يتألَّم وهو يقول: دعي شعري.
فلبثت قابِضةً بقوَّة وتسحب حتى استطاع أن ينزع يدها عن رأسه عندما دفعها بقوَّة فارتدَّت إلى الخلف وارتطمت بالحائِط وبيدِها قبضة مِن الشعر.
غدا يركلها بقدَمَيه ويخبط رأسها بالحائِط حتى فقدَت الوعي، عند ذاك جرَّها من كتفها ورمى بها إلى أرض غرفة النوم.
مدَّ يده إلى زجاجة الشراب، فتحها ورفعها إلى فمه ورشفها برشفةٍ واحدةٍ حتى فرغت.
وتقدّم إليها وهو يُقلِّبها في ألوان الممارسات الجسدية، ثم فوجِئَت به ينهض ويخرج وبعد لحظاتٍ يعود وبيده السوط.
تقدَّم إليها بعينَيه الحمراوين، وصار ينهال بالسوط على أنحاء جسدها بكل ما يملك من عنفوان دون تمييز وتعلو قهقهاتُه المُجلجلة على إيقاع صرخاتها حتى بدأ صوتُها يخفت وينطفئ.

عند ذاك أتى بالقدّاحة، ووضع النار على شعر رأسها فانفجر مِنها صراخٌ، أطفأ القدّاحة، ثم أشعلها ثانية وصار يحرق المزيد من شعر الرأس والضحكات تتجلجل مِن فمه، وهي تزداد عويلاً وهَلَعاً.
وبغتةً توقَّفَ، وتَراجَعَت به قَدماه نحو الخلف، ونحيبها الذي يخفت ويعلو، يندفع إلى مسمعه.

الفصل السابع

(تداعيات الماضي)

قَبعَ على كرسِيٍّ وهو يرمقها وقد زاغَت عيناه، في تلك اللحظات الرهيبة، قَفَزَت إليه صورتُه وهو طفلٌ في الثامِنة مِن عمره، عندما رأى أمَّه تحمل إبريق المازوت وأدخَلَته إلى أبيه النائم في قيلولة الظهيرة، وأحكمَت الباب.
وبعد قليلٍ رآها تهرع إلى الشارع وتصرخ قائلةً بأنه أحرق نفسه.
التمَّ الجيران وصاروا يرشّون المياه على النار الملتهبة حتى أخمدوها، ولكنَّه كان قد فارق الحياة.
سمع أمّه تقول بأنَّها كانَت مستلقية إلى جانِب ابنها بعد تناول الغداء، وكان نائِماً في الغُرفة، فتسرَّبَت إليها رائِحةُ حَريق، ونَهضَت لترى ألسنة النار تندفع مِن غُرفته.
بعد نحو شهرٍ من ذلك وبينما كان نائِماً في منتصف الليل، تناهى إلى سمعه صوت رجلٍ يتحدَّث مع أمّه في غرفة النوم، استغرَبَ لذلك، ونهض يتقدَّم خلسةً إلى الغُرفة التي ينبعث مِنها الصَّوت، وضع عينه على درفة الباب ليراهما رأي العَين، فصُعِق، ورفع عينه دون أن يحتمل النظر.

علت غصَّةٌ إلى حنجرته وقد تذكّر أباه، تذكَّر كلماته، حركاته.
عند ذاك جاءَ صوت أمّه: لستُ مُرتاحةً لِنَظراتِه المُريبة إليَّ.
قال: هل تعتقدين بأنَّه رآكِ؟
قالَت: لا أعرف، ولا أذكر شيئاً لأنَّني كنتُ مُنهمِكة في إدخال المازوت وإشعال النار.
قال: لا تخافي.. لنستمتع بحياتِنا الآن.
قالَت: متى ستتزوَّجني؟
قال: بعد حوالي ستة أشهر حتى لا نُثير الشبهات حولنا.

تراجَع إلى الوراء وقلبُه يخفق بشدَّة، استلقى على سريره، ففَزَت إليه ذكرياته مع أبيه مُجدَّداً، كيف كان يأخذه معه في بعض المشاوير، كيف كان فورعوته من العمل يُنادي باسمه.
فيجيب: إي بابا. ويهرع إليه.
لبث مستلقياً على ذلك ولا يدري كيف غفا تحت وطأة التداعِيَات ليستيقظ صباحاً، تمططَ قليلاً في الفِراش، ثم نهض واتَّجه إلى ذات الغُرفة التي اعتادَت أن تنام فيها أمّه، فألفاها مستلقية في فراشِها وغائِرة في نومٍ عميقٍ، وشخيرُها يعلو ويخفت.
توقَّف قليلاً وهو ينظر إلى عَينَيها المُغلَقَتَين، ثم انسحب من الغرفة بتؤدَة، اتَّجه إلى حيث إبريق المازوت، التَقَطَه وراح يحمل القدّاحة من المطبخ.

ثم جاء يمشي على رؤوس أصابِعه، وأخذ يرشّ المازوت حول فراشِها وما لبث أن أوقد النار، وهرع إلى الخارِج ينادي الجيران ويقول بأن أمّه تحترق.
عندها شاع بين الناس بأنَّها أحرقت نفسها حزناً على زوجها في غرفة نومهما، وهي ذات الغُرفة التي قضى فيها زوجُها.
فراح يعيش في بيت جدّه لأبيه حتى كبر واستلم كل ما كان يملك أبوه بصِفَته ابنه الوَحيد.
لكن بذات الوقت بدأ الرعب من المرأة مُلازِماً له، ولم يكن يتخيَّل بأنَّه سوف يتزوَّج ويأمَن العَيش مع امرأةٍ في بيتٍ واحد.
ولذلك رفض فكرة الزواج، وتفرَّغ لاستثمار أمواله حتى أصبح من كِبار أغنياء البِلاد.
ورغم علاقاته العديدة مع النساء، فيكون على حذرٍ شديدٍ من مجرَّد إغفاءة في غرفةٍ تكون فيها امرأة، مهما كانَت صِلَته بِها. يعيش وحيداً في بيته الأنيق، يفتح عينَيه على تناول الكحول، ويغلقهما والكأس بجوارِه، وأينما يذهب، تفوح منه رائحة الكحول بقوَّة، ولذلك أحياناً يبخ على ثيابه بعض العطور النافِذة الرائِحة عندما يذهب إلى بعض الأماكن الرسميَّة، أو العائليَّة.

ارتفع نحيب رَوعة، فعاد إلى ما هو فيه مستيقظاً مِن الشرود الذي دَهَمه، سحب سيجاراً، وراح يُشعله ويعبّ الأنفاس تلو الأنفاس، ثم جرع كأساً برشفةٍ واحدةٍ، ونهض من كرسيه متَّجِهاً إليها.
أمسكَ عقب السيجار ودنا بمقدِّمته المُجمَّرة إلى جسدها، فصرخَت مرتاعة: دعني يا حيوان لم تترك موضعاً من جسدي دون حرق.
انطلقَت منه ضحكة مجلجلة، وصار يلسع جسدها حتى انطفأ السيجار.

حينذاك تَرَكها وراح يترنَّح صوب الباب، فتلكَّأ بجانِبٍ من المائدة وارتمى على الأرض وقد اصطدم رأسُه بزاويةٍ من المائِدة، ليشعر بسائلٍ ساخنٍ ينزّ منه، رفع كفَّه بآليَّةٍ إلى رأسه وعندما أعادها، أدرك بأن رأسه قد فُجَّ وهو ينظر إلى كفِّه التي غاصَت بالدِماء.
استبدَّ به ذعرٌ، لكنَّه أراد أن يتمسَّك بِزمام نفسه، فأغمَضَ عينَيه يلتمس شيئاً من الهدوء.
في تلك اللحظات، انتصبَت على قدَمَيها كلبوةٍ، ومدَّت خطوات وئيدة نحوه، فرأته مُغمَض العينَين والدماء تنزّ من رأسِه.

لبثت واقفةً بجانب رأسه وهي تشرد بِما ستفعل، وأوصالها ترتعد، وبين لحظةٍ وأخرى ترمقه وتمتلئ رهبةً منه رغم انهياره أمامها.
وفي هَول تلك اللحظات، حملت سكِّيناً مِن المائِدة، أمسكتها بقبضَتِها جيّداً وسدَّدَت طعنةً إلى صدره بكلِّ ما أوتيَت مِن قوة، فانطلَقَت منه صرخة مُدوّية، سارّعَت في وضع كفَّيها على حلقه، وغدت تضغط وهو يُقاوم، ولبثت تضغط حتى فقدَ الحِراك.
عند ذاك تراجعت إلى الوراء وهي تُرمقه وقَد تحوَّل إلى جثَّةٍ هامدةٍ، تُرمِقه بهلعٍ وأنفاسُها تتسارع كأنَّها جرت يوماً كامِلاً وتوقَّفَت للتو. بهتتَ رَوعة ولم تعد تعرف ماذا تفعل في خِضَم موجة الأفكار التي دَهَمتها.
غدَت تجوب الغُرفة جيئةً وذهاباً، وهي مُرتَبكة، وبين فينة وأُخرى ترمقه بنظرةٍ وجِلةٍ، فتزداد فَزَعاً.
كانَت المرَّة الأولى التي ترى فيها شخصاً ميّتاً، وقد جمد كل شيءٍ فيه كما لو أنَّه لم يكن ذاك الشخص الذي يُصدِر كل ذاك الصَخَب، كل ذاكَ العُنف، أشاحَت بنظرِها عنه وبدا لها بأنَّها غدت في أعلى درجات التوتّر، وقد امتلأت أوصالُها بالرّعب، وكل عضوٍ فيها يرتعد، وبعد لحظاتٍ انتابتها نوبة غثيان شديدة، أحسَّت بأنَّ معدتها ستخرج مِن جوفِها، وترافق ذلك بألمِ شديدٍ في الرأس.

بغتة تناهت إلى سمعها طرقاتٌ خافِتةٌ على الباب، جفلَت وهي تنظر والغثيان يعتصر معدتها، ورأسها يكاد ينفجر ألماً. بعد قليلٍ عادت الطرقات، وما لبثت أن وَلَجت المرأة إثر استِدارة قبضة الباب. عندما رَمَقته مُمدَّدَا وسط الدِماء، انفجرَت منها صرخةٌ مروعةٌ، وهَروَلَت نحو الخارج وهي تزعق، تقدَّمَت رَوعة إلى السكِّين، ولكنَّها تردّدَت مِن مدّ يدها في اللحظة الأخيرة وهي تُتمتم: جريمة واحِدة تَكفي يا رَوعة، إلى أينَ ستودينَ بنفسكِ.
بَيدَ أنَّها حَمَلت السكِّين ولحقت بالمرأة على الفَور، وهدَّدَتها بالقتل إذا لم تُرشدها إلى باب الخروج، فاستجابَت لها المرأة وهي ترتعد، سحبت مفتاحاً كبيراً مِن الدِرج وقادتها إلى حيث الباب الحديدي الضخم، وفتَحَته لها.

* * *

فور خروجِها إلى الشارع، أوقفت سيَّارَة أُجرة على عجل، وطَلبَت مِن السائِق أن يوصلها إلى مكتبٍ لشركة طيران.
لدى دخولِها إلى المكتب وسؤالها عن مواعيد الرَّحلات، قال لها الموظَّف: مِن حسن حظكِ سيّدَتي بقيت لدينا رحلة وحيدة اليوم تنطلق إلى بلدكِ بعد خمس ساعات مِن الآن.

قالَت: احجز لي بِها.
عندما تناوَلَت تذكرة الطائرة ورَمَقت التاريخ، أدركت بأنَّها أمضت خمسةً وعشرين يوماً في هذه البِلاد، فدسَّت التذكرة في حقيبتها اليدويَّة الصغيرة وخرجت مِن المكتب، أوقفَت سيارة أجرة كانت قادمة في الطريق وقالت للسائق: خُذني إلى إحدى الاستراحات كي أرتاح فيها عدّة ساعات حتى يحين موعد إقلاع الطائِرة. هزَّ السائق رأسه وقال: تفضلي.
بدت قَلِقة وهي تمضي في السيَّارة حتى أن السائِق شعر بقلقها، فقال: هل تحتاجين شيئاً يا سيدتي؟.
قالَت: لا، شكراً
قال: تبدين مُتعَبة جدّاً.
ارتبَكَت وقالَت: لا، لستُ مُتعَبة، ربما إرهاق بسيط وسيزول عندما أصل الاستراحة.
بعد قليلٍ رأته يقف أمام حاجز للأمن، فهبط قلبُها، ولكن أحد العناصر أشارَ له أن يمضي.
اطمأنَّت عند ذاك وتنفَّسَت الصُعداء، بعد قليلٍ وقف السائِقُ بجانب استراحةٍ وقال: تفضّلي يا أستاذة، هذه استراحة جيدة في المَدينة، يوجد فيها طعام أيضاً، ثم ابتسم وقال: لكن لا تأكلي كثيراً، لأنَّ المُضيفة في الطائِرة سَتُقدّم لكِ وجبة لذيذة.

أنقذَته الأجرة ونزلت وهي تشكره، ثم اتَّجهت إلى الاستراحة، نظرت إلى الموائد وإلى بعض الجالِسين الذين كانوا يتناولون الطعام، أو يُدخِّنون النرجيلة.
تقدَّم إليها نادلٌ يرتدي ثياباً تُراثية وقال: أهلاً وسهلاً بكِ أستاذة، تفضَّلي.
أدركت مِن لهجته بأنَّه مِن بلدِها فأحسَّت بارتياحٍ، ومضت إلى طاولة مُنزوية وبَرَكت إليها.
بدت الاستراحة تُراثيَّة بكل ما فيها، وهي تجول بنَظرِها في الأنحاء، وبعد نحو خمس دقائِق مِن جلوسِها، تقدَّمَ النادلُ وهو يُرحِّب بِها مرَّةً أُخرى ويضع على مائِدتها عبوة ماء، فطلبت فنجاناً مِن القَهوة، وعندما أتى بالقهوة صارت ترشفها وتُدخِّن وبين لحظة وأخرى ترمق ساعة الهاتف الجوَّال وهي تنتظر أن تمضي الساعة مُسرِعةً.

صارَت تتأمَّل بعض القطع القديمة والتراثية في الاستراحة: مذياع، لوحات، فخاريَّات، إبريق قهوة مرَّة، ببور كاز، لمبة كاز، عملات معدنيَّة وورقيَّة قديمة، جهاز هاتف منزلي قديم، هاون، مقشَّة.
بعد نحو ساعتَين من جلوسِها، طلبت وجبة طعامٍ خفيفة، ولبثت جالِسةً حتى اقترب موعد ذهابها إلى المطار، عند ذاك أشارَت للنادل أن يجلب لها الفاتورة.

ثم مدَّت يدها إلى أحشاء الحقيبة اليدويَّة الصغيرة، ووقعَت على حزمة نقود، فأدرَكَت بأنَّها نقود بِلادها، أحسَّت بارتياحٍ وسحبت الحزمة وصارَت تنظر إلى الأوراق بشوقٍ عارمٍ، وبعد لحظاتٍ اغرورَقَت عيناها بالدموع وهي تنظر إلى الأوراق النقدية وتقلّبها بين يدَيها بحَنينٍ كما لو أنَّها لم ترها منذ سنواتٍ طويلة، وقَد وقفَ النادلُ مبهوتاً وهو يصوّب نظراته إليها.
بدا لها بأنَّها تشمُّ رائحة كل مدينة من مدن بلادِها من هذه الأوراق، تشم رائحة كل قرية، وكل حي، وكل شارع، بل وكل حبَّة تراب.

أدركَت في تلك اللحظات بأن الإنسان لا يشعر بالدفء الحقيقي إلّا إذا كان في موطِنه، ومهما ابتعد عن ذاك الموطن في المسافات، فإنه يقترب منه في المشاعِر، ومهما بدا سعيداً فيه، فإن سعادته تكونُ ناقِصة، مهما لاقى الحَفاوة في بلادٍ أخرى، تبقى عينه على بِلاده، ومهما شمَّ من روائح طيّبة، فإن رائحة بِلاده تبقى الأثيرة لدَيه.
عند ذاك قال النادل: هل تسمحين لي بورقةٍ مِن هذه العملة.
مدَّت إليه ورقةً، فصار يشمّها ويُقبلها وقد امتلأت عيناه بالدموع، وعندما عرف بأنّها مِن بلده، قال: ليتني كنتُ عامل

نظافة في بلدي ولم أبتعد عنها، لكن ماذا أفعل يا أستاذة، الظروف قاسية.
قال ذلك ومدَّ لها الورقة، فقالَت: دعها عندك واحتفظ بِها.
ثم أعادت تلك الحزمة إلى الحقيبة، وأخرجت المظروف وسحبت منه ورقةً نقديَّةً مِن عملة البِلاد وأعطتها للنادل.
تناولها وعاد وهو يحمل لها بقية قيمة الورقة مع سفرةٍ صغيرةٍ، عليها كأس من عصير البرتقال مع قطعة كيك وصحنٍ من البندق قائلاً وهو يضع السفرة أمامها: هذه ضيافة استراحتنا لك يا أستاذة.
شَكَرته وبدأت تأكل، وبعد قليلٍ عندما وقعَ نظرُها على النادل الذي كان يحمل الطعام إلى إحدى الموائد، رفعَت كفَّها مشيرةً إليه كي يأتي.
وضع الطعام على المائدة، وما لبث أن خَطا إليها تسبقه نبرات صوته: تفضلي أستاذة.
قالَت: أريد أن ترى لي سيارة حتى توصلني إلى المطار.
حاضر، تكرمي يا أستاذة.
قالها ومضى إلى صاحِب المطعم يُخبره بمطلبِها، فشرد قليلاً وهو يهمهم في سرِّه: ضيفة في بلدنا، لابدّ أن أكرمها.
نهض من كرسيّه، وجاءَ يُقدِّم نفسه لها، ويُرحِّب بِها قائلِاً بأنَّه يتشرَّف أن يوصلها بسيَّارَته.

نظَرَت إليه وقد انبجَسَت دموعٌ مِن عَينَيها، وقامَت تمضي برفقته إلى السيَّارة وهي تَشكره.

* * *

نزلَت رَوعة أمام المَطار وهي ترتجف بَرداً ورعباً، سحبت مِن حقيبتِها كمّامة طبيَّة سوداء وارتدتها، ودنَت إلى كُوَّة ختم جوازات السَّفر بقلقٍ، مدَّت جواز سفرها للموظَّف، فتناولها وأدخل اسمها في الحاسوب الذي كان أمامه، ثم توقَّفَ للحظةٍ وألقى إليها نظرةً ممعنةً من خلف نظارته إليها، وعاد ينظر إلى الحاسوب، ثم إلى جواز السفر، ثم طلب منها أن ترفع الكمّامة عن وجهها.
فأنزلَتها إلى الأسفل، أشار لها أن تنزعها بشكل كامل وقال: المعذرة يا أستاذة هذه تعليمات أمنيَّة لا نستطيع تجاوزها.
وعند ذاك صار يرمقها، ثم يعود وينظر إلى الحاسوب وهي واقِفة وتحاول أن تُخفي اضطرابها.
بعد لحظاتٍ طلبَ مِنها أن تتريَّث. فهزَّت رأسها وتراجَعت قليلاً إلى الوراء وهي ترمقه وترتعد، وكذلك رأته يرمقها بينَ لحظةٍ وأُخرى.
صار قلبها يخفق بقوَّةٍ، وتسارعَت أنفاسها، وأحسَّت بأنَّها لم تعد قادرة على الوقوف، فقعدَت على كرسيٍّ بالقُرب من

النافِذة، وبعدَ قليلٍ رأت الموظَّف يمدّ رأسه مِن النافِذة ويلقي نظرةً إليها.
فنهضت لتتقدَّم إليه، ولكنَّه أشار لها بيده كي تبقى في مكانِها وقال: لحظات أستاذة.. لحظات.
ارتابَت في الأمر، وغدت ترتعد بشكلٍ مُلفتٍ، وتخيَّلَت في تلك اللحظات منظر رئيس التحرير وهو ممدَّد على الأرض دون حِراك. وعلى عجلٍ أعادت ارتداء الكمّامة ونهضت وابتعدَت عَن المكان تُراقب الكوَّة مِن بعيد.
هبط قلبُها عندما رأت بعض عناصر الشرطة يهرعون صوب الكُوَّة. فتأكَّدَت مِن الحدس الذي راودها، وعندما لم يجدوها على الكرسي الذي أشار إليه الموظَّف وهو يمدَّ رأسه، سارعوا بين حشد الناس يبحثون عنها مِن خلال صورتها التي كانت على هواتفهم الجوَّالة، فمضت على الفور بخطواتٍ متسارِعة إلى الباب الخارجي، وعند وصولها رأت بعض عناصر الشرطة يغلقون الباب، فلم يعد أحد باستطاعته الدخول أو الخروج.
دبَّ الفزع بين جموع الناس، وتعالى على إثره صوتٌ مِن المكبّر بعدم استخدام أجهزة الهاتف مهما كان السبب تحت طائلة المسؤولية القانونيَّة.
وبدأت الصرخات تتعالى وصاروا يندفعون نحو باب الخروج لكن الدوريَّة المُسلَّحة كانَت تقف وتمنع أي شخصٍ مِن

الاقتراب، وبعد قليلٍ جاءت قوّةٌ مِن الطوارئ السريعة وطوَّقَت المطار.
ورغم عبارات التهدِئة التي اندفعت من مكبر الصوت، إلّا أن جموع الناس لبثوا في استنفارٍ وصار البعض يتوقع بأن انفجاراً ما قد يحصل في المطار، واستناداً إلى ذلك اقتحموا الباب الرئيسي وأرادوا الخروج بالقوَّة ولكن الشرطة أطلقت النار في الأعلى ومنعتهم من اختراق الباب.
كان من الصعوبة التعرّف عليها في القاعة المكتظَّة بالمسافرين والمستقبلين ووسط حالة الاستنفار التي دبَّت بين الناس كباراً وصغاراً، نساءً ورجالاً، ولم تكن لدى رجال الأمن سوى صورتها. وكما أن الازدحام حصل داخل الصالة، حصل كذلك خارجها بسبب حضور المسافرين الذين حان وقت إقلاع طائراتهم، فقيل لهم بأن أوقات الإقلاع تعدَّلَت، وكذلك حصل ازدحام في ساحة هبوط الطائرات بسبب عدم السماح للقادمين بدخول القاعة كي يخرجوا عبرها.
وجاءت وسائل إعلام مُختلِفة محلّية وأجنبية وبدأت تنقل في بث مُباشَر حركة الازدحام في الساحة الخارجيَّة للمطار، ومنع الناس من الدخول والخروج.

* * *

كانت رَوعة إذ ذاك جالِسة في كشك القاعة بعد أن جاءت وقالت لصاحب الكشك بأنَها تُصاب بالدوار في الازدِحام، ففتح الرجل لها الباب ودعاها للدخول والجلوس على كرسيٍّ.
كان يرتدي قميصاً فضيّاً على بنطالٍ أزرق بحمَّالَة، لبث الرجل واقِفاً وهو ينظر إلى حشد الناس، ومع تصاعد الازدِحام، أغلق باب الكشك وقبع على كرسيٍّ بالقُرب مِنها.
قالت: ما ذا حصل يا أستاذ؟
قال: لا شيء، هذه إجراءات أمنيَّة تحصل بين فترة وأُخرى وقد اعتدناها، كوني مُرتاحة ولا تقلقي.
وأضاف وهو يُهدِّئها: في السنة الماضية ذات يوم أغلقوا المطار عشر ساعات متواصلة، ولم يستطع أحد أن يدخل إليه، أو يخرج منه.
ثم قال: هل لديكِ عمل هُنا يا أستاذة؟
قالت: لا، كان عملاً مؤقَّتاً وأنهيته.
قال: ألا أحد معكِ
قالَت: أنا مُطلَّقة
فنهض الرجل وأتى بقطعة كيك مُغلَّفة وعبوة بيبسي، وقال: تفضَّلي يا أستاذة.
شكرته وهي تتناولهما مِن يده. فقال: اسمي توفيق، صرتُ في الخامِسة والأربعين مِن عمري، وسبحان الله حتى الآن لم أوفَّق بالمرأة التي أتزوَّجها رغم العديد مِن المحاولات.

قالَت: تشرَّفتُ بك يا أستاذ توفيق، هل لديك صفات معيَّنة بالنِسبة للمرأة التي تُريدها للزواج؟
قال: تكون امرأة جيدة وجميلة، ثم أضاف وهو ينظر إليها: وإذا لم يكن لديك ارتباط، أتشرف بأن أطلب يدكِ للزواج، بصراحة يا أستاذة، ارتحتُ لكِ منذ النظرة الأولى، وأنا لديَّ بيت مُلك أقيم فيه لوحدي، ولدي سيَّارة، وهذا الكشك استأجرته، ودخله لا بأس بِه.
نظرت إليه نظرة ارتياح، وبغتة قفزت إليها مُقارَنة بينه وبين رئيس التحرير، فإلى أيِّ مدى يمكن للإنسان أن يكون نقيض الآخر، وكلاهما في موطنٍ واحدٍ بل في مدينةٍ واحدةٍ، أو حتى من أبوَين واحِدَين وتربيا في بيتٍ واحدٍ.
ها هو رجل ببالِغ الطِّيب، وعندما رأته أحسَّت بارتياح، وأمان وألفة، بل أنَّه حقّقَ لها أماناً في أكثر اللحظات وأكثر الأماكن خطورةً،
والآخر ألحق بِها الأهوال في أكثر اللحظات وأكثر الأماكن أماناً. اجتاحَتها هذه المُقارَنات وهي تنظر إليه وهو صامتٌ يبدو بأنَّه لا يُفكّر بشيء.

بعد أربع ساعاتٍ مِن التفتيش دون العثور عليها، جاءتهم أوامر عُليا بإخراج الناس وإعادة الحركة إلى المطار،

فأخرجوهم بِحَذر وتركوا بعض النساء اللواتي لم يكن يحملن وثائق إثبات شخصيَّة.
وعندها تلقّى رئيس قسم أمن المطار انتقاداً شديد اللَّهجة مِن وزير الداخليَّة، عندما قال له: وضَعنا تحتَ تصرّفك كل القوّات والمعدّات التي طلبتها، وخذلتنا أمام القيادة لأنَّك لم تستطع أن تلقي القبض على امرأة ارتكبت جريمة قتل، كانت عندك في المطار، والكاميرات الخارجية تبيّن بأنَّها لم تخرج منه إلّا إذا حصل تسريب ما بطريقةٍ مموَّهة.
قال: أعدك يا سيدي بأنَّني سأجري تحقيقاً دقيقاً حول هذا الأمر.
تناهَت طرقاتٌ على النافِذة تداخل معه صوتٌ: هل أنتَ هُنا يا أستاذ توفيق؟
جفلت رَوعة عند سماع الصوت، فوثب توفيق مِن جلوسِه وفتح النافِذة، فرأى شرطيّاً من أمن المطار يقول: هل عند رصيد هاتف.
قال: عندي.
عادَ إلى الداخِل وأتى له ببطاقة الرَّصيد، وسأله: هل انتهت الأزمة؟
قال: نعم يا أستاذ توفيق انتهت
وعندما ناوله النقود، التقَت نظراته بِها، وعند ذاك نظر إلى صورتِها في جهاز هاتِفه، ونظر إلى توفيق بارتيابٍ، ثم مضى

واتَّجه على الفَور إلى مكتب رئيس الأمن وقال: سيِّدي المرأة التي نبحث عنها موجودة عند توفيق في الكشك.
هبَّ الضابط واقِفاً على قدَمَيه وهو يقول: توفيق.. كيف فاتنا أن نبحث عَنها في الكشك؟
وعلى الفَور شكَّل دوريَّة عاجلة وداهم الكشك وألقى القبض عليهما معاً.
في صبيحة اليوم التالي اقتادوها بسيَّارة الشرطة إلى القضاء بتهمة القتل، واقتادوا توفيق بتهمة التستّر على قاتِلة، وإرباك واستنفار أجهزة أمن البلاد لمدَّة أربع ساعات.
عند ذاك تم توكيل أحد المُحامين لها مِن قِبَل المحكمة، وغدا يُدافع عنها بعد أن أطلَعته على تفاصيل ما وقع.
قال محامي الادّعاء: الجريمة ارتُكِبَت عمداً عندما كان الجاني في حالة إغماء نتيجة السُكر الذي استدرَجَته إليه الجانية لمآرب في نفسِها، واستغلَّت ذلك وقامَت بقتله مع سبق الإصرار والترصّد.

قال محامي الدِفاع: الحقيقة أنَّ موكِّلَتي كانَت في حالة دِفاعٍ عَن النفس عندما قام المجني عليه باحتجازها نحو عشرينَ يوماً في أحد البيوت الفخمة التي يملكها، واعتدى عليها.
قال محامي الادّعاء: المجني عليه هو رئيس تحرير مجلة الكترونيَّة، والجانية هي كاتبة في المجلة ولها زاوية ثابتة فيها،

وأتت برضاها تلبية لدعوة من المجلّة كي تُشارِك بأمسيةٍ قصصية في ندوةٍ للمجلّة، ومن الطبيعي أن تؤمِّن لها المجلَّة المنامة والإطعام، أمّا أن تشطح المُخيّلة بالادِّعاء، فذلكَ شأنٌ آخر. وإذا كان قد حصل شيءٌ من الاستلطاف بينها وبين المجني عليه، فكان ذلك بمحض رضاها، وأتت بمحض إرادَتها إلى هُنا دون أن يُجبِرها أحد.

قال محامي الدِفاع: نحن قدَّمنا إلى مقام المحكمة تقارير الطب الشرعي التي تؤكِّد الاعتداء البدَني الذي تعرَّضَت له موكِلّتي مِن المجني عليه.

وبعد شهرٍ مِن الجلسات، صدر عليها الحكم بعشرين سنة سجن، ونظراً للقرائن التي قدَّمها مُحامي المُتَّهمة والتي أثبتت بأنَّها كانَت في حالة دِفاع عَن النفس، وأن الجاني كان قَد تسبَّب لها ببعض الأذى البدَني بحسب تقارير الطب الشَرعي، تم تخفيف الحُكم عليها إلى خمس سنوات سجن.

ومِن جهته تم الحُكم على توفيق بالسجن لمدَّة سنة، واسترداد الكشك مِنه.

الفصل الثامن

(غيثاء)

كان الوقتُ قبل الغروب بقليل عندما ذهبتْ غيثاء إلى زيارة صديقتِها هَناء وسألَتها إن كانَت قد سمعت شيئاً عَن رَوعة، فقالت: لا والله يا غيثاء، منذ أن سافَرت وحتى الآن لم أسمع عنها شيئاً.

قالَت غيثاء: تواصلَت معي خلال اليومَين الأوَّلَين مِن وصولِها وقالَت بأنَّها وصلت وتنتظر افتتاح الندوة، ولكن بعد عدَّة أيّام عندما اتَّصلتُ بِها، كان رقمها خارِج التغطية، وها قَد مضت سنة على غيابِها.

قالَت هَناء: قبل حوالي ستة أشهر، ذهبتُ أسأل عَن بيت أهلها حتى وصلته، ورأيتُ أختها لينا التي رأيتها عدَّة مرات عندها في البَيت، فقالت بأن أخبارها انقطعَت منذ اليوم الأوَّل لسفرها، وهي قَلِقة عليها.

قالَت غيثاء: غريب، حتى المجلَّة توقَّفَت منذ سنة عَن التحديثات.

ثم نهضت تودِّعها، وعند وصولِها إلى الباب الخارجي للمبنى، رأته فجأةً، فتوقَّف ينظر إليها، وبعد قليلٍ قال: أهلاً وسهلاً.
قالَت: أهلاً بك أستاذ عبد السَّلام، هل عرفتني؟
قال: نعم، تذكَّرت. رأيتكِ قبل الآن في البَيت مع رَوعة، ثم أضاف: إن لم أكن مُخطِئاً لديكِ خبرة في اللّغة العربيَّة.
قالَت: أنا مُدرِّسة للّغة العربيَّة.
قال: بكوننا في العطلة الصيفيَّة للمدارس كنتُ أبحث عَن أحدٍ يعطي لابني رامي بعض الدروس الخصوصيَّة في البَيت.
قالَت: بصراحة هذا جزء مِن عَمَلي، فإذا أردتَ أنا جاهِزة، ولي الشَّرَف.
قال: اتَّفقنا
قالَت: سأجيء أيّام السبت، والاثنَين، والخميس، ويمكن أن نُعدِّلها إذا لم تكن مُناسِبة لك.
قال: تُناسبني
قالَت: كل درس سيستغرق ساعة، من الرابعة وحتى الخامِسة عصراً.
قال: تمام.
ثم اتَّفَقا على الأجر، وانصرَفَت وهي تُصافِحه.
لدى عودَتِه إلى البَيت، رأته أخته أروى مشرق الوجه لأوَّل مرَّةٍ منذ مجيئها، حيث كان دائم العبوس، وعندما تتحدَّث معه، يرد عليها بوجه ثقيلٍ كئيب.

لكن الآن دخل وهو مُبتَسِم، ويبدو مُنشَرِح الصَّدر، يُقبِّل رامي ويقول له: بعد غدٍ الخميس سوف تأتيكَ مُدرِّسة حتى تعطيك دروساً خصوصيَّة.

شردَت غَيثاء عندما عادت إلى البَيت، وراودها شعورٌ بأنَّها تسرَّعَت بالموافقة على مطلبه، وأرادَت أن تعتذر منه، ولكنّها لم تكن تعرف رقم هاتِفه، فاتَّصَلَت بصديقتها هَناء وأخبرتها بِما حصل معها، وقالَت: أرجوكِ يا هَناء اذهبي إليه وقدِّمي له اعتذاري عن الدروس.
قالَت هَناء: لستُ معكِ يا غيثاء، لماذا تقطعين رزقكِ بيدكِ؟!
قالَت: يبقى بيت صديقتنا رَوعة التي غابت ولا نعرف عنها شيئاً.
قالَت: أنتِ حسَّاسة زيادة عَن اللزوم يا غيثاء، الأمر طبيعي جدّاً، وهذا عمل، وهو الذي طلب منكِ مِن تلقاء نفسه، والرَّجل يحتاج إلى مُدرِّسة جيِّدة يثق بِها، وهذه خدمة تقدّمينها لصديقتِنا رَوعة أيضاً.
قالَت: أرجوكِ يا هَناء، اعتبريه مطلباً خاصَّاً أطلبه منكِ.
قالَت: كما تريدين يا صديقتي، الأمر يعود لك، سأُخبِره.

* * *

في صباح اليوم التالي، وعند موعد خروجه من البيت، راحت هَناء تشطف فسحة مدخل البيت والدَرَج، فخرج وهو يقول: يعطيكِ العافية يا جارَتي.
قال: الله يعافيك يا جاري، ثم قالَت: غيثاء اتَّصلَت بي مساء البارِحة، ويظهر أنَّه قد حصل معها طارئ، ولم يكن رقم هاتفك عندها، فطلبت منّي أن أبلغكَ اعتذارها عَن الدروس الخصوصيَّة حتى لا تنتظرها.
هزَّ رأسه ومضى وهو يقول: تمام، وصل، شكراً لكِ جارتي، بلّغي سلامي لجاري.
وبغتةً تغيَّرَت سحنته كما لو أنَّه تلقّى صَدمة، وصار يقود السيَّارة بمزاجٍ مُعكَّر.
مضى عليه أسبوعٌ ولم يعد يبحث عن مُدرّسٍ لرامي، وعندما سألَته أروى عن سبب عدم مجيء المُدرّسة، قال: يبدو حصل معها ظرف منعها من المجيء.
وفي المساء أرسل رامي إلى بيت هَناء حتى يجلب رقم هاتف غيثاء، فكتبته على قصاصةٍ وأعطته له.
عند ذاك أجرى اتِّصالاً معها، وعندما سمع صوتها، أحسَّ بنشوةٍ، فكرَّرَت: ألو..
قال: أنا عبد السَّلام.
قالَت: أهلاً وسهلاً أستاذ، شرَّفتني وشرَّفتَ هاتفي بكرم اتِّصالِك.

قال: أخذتُ رقمكِ مِن جارتنا هَنا، وأردتُ أن أطمئنَّ عليكِ بصرف النَظَر عن تدريس رامي.
قالَت: أنا مُحرَجة جدّاً مِنك يا أستاذ، لو لم تتَّصل بي كنتُ على وشك أن أتَّصل بك، والحقيقة أنتَ أكثر كَرَماً منّي وسبقتَني في الاتِّصال.
قال وقد افترَّت بسمة على ثغره: لا يا أستاذة، هذا مِن تواضعكِ، وأخشى بأنَّني أتَّصلتُ في وقتٍ غير مُناسِب.
قالَت: بل الوقت مُناسب، وسوف أحضر يوم السبت في نفس الموعد كي نُباشِر الدروس.
قال: وهو كذلك يا أستاذة.
وبغتة عادَ الإشراقُ إلى وجهه وهو يشعر بشيءٍ مِن التناقض، فثمَّة امرأة تتسبَّب له بكل ما في العالَم من ضيق، وامرأة أُخرى تتسبَّب بكل ما في العالَم مِن انشراح، ثمة امرأة تجرح، وامرأة تُداوي. وهمهم في سرّه: يبدو أنَّه لولا وجود امرأة تُداوي، لَما وُجِدت امرأة تَجرح.
أحسَّ بالوقت يمضي بطيئاً، كما لو أن اليوم تحوَّل إلى شهر، وهو يُرتِّب البيت، ويأتي ببعض اللمسات الجمالية والعطور والمزهريات واللوحات، وعندما حان يوم السبت، عاد من الوظيفة إلى الحلَّاق، حلق شعره وذقنه، ثم ابتاع بذلةً جديدةً للارتداء المنزلي، وأتى ببعض الفاكِهة.

وقبل أن تأتي استحمَّ وجلس في الصالون، فأتت أروى له بكاسٍ من الشاي مع بعض الجوز، وهي تنظر إلى وجهه المُشرق دون أن تعرف السبب، وبعد قليلٍ رُنَّ جرس الباب، وعندما أرادت أروى أن تنهض لتفتح، أشار لها كي تبقى جالِسة، فنهض وفتح الباب ليراها، تبادلا النظرات، ثم صافحها وهو يُرحِب بِها.

كانَت متأنّقة كما لو أنَّها ذاهِبة إلى حفلة عرس، ترتدي قميصاً ورديّاً نصف كم، مُزركش بقطع بيضاء، على بنطلونٍ أزرق فاتحاً، وقد وضعت قبَّعة حمراء صغيرة على رأسِها. وتفوح منها رائحة عطر القوتشي الذهبي الذي اختارته صديقة لها تعمل في محلٍّ لبيع العطور.

في تلكَ اللحظات كم تمنَّت فيما لو بقيت كفها في كفه، كم أحسَّت بأمان لم يسبق لها أن أحسَّت بِه مِن قبل.

دَنَت أروى وهي تُرحِّب بِها، فقال: هذه الآنسة غيثاء المُدرِّسة الخصوصيَّة لرامي. ثم قال: هذه أُختي أروى.

لاحظت أروى اهتمامه الزائِد بِها، وهو يمضي معها إلى غرفة رامي ويُرحب بِها بِحفاوة.

وبعد قليلٍ عاد يجلس في الصالون، وهي تنظر إليه كما لو أنَّه أنجز شيئاً ما.

قال: سوف يستفيد رامي من هذه الدروس، إنَّها مُدرِّسة مُتمكِّنة جداً مِن قواعد اللغة العربيَّة.

قالَت وقد تسمَّرت نظراتها الدَهِشة به: نعم.. نعم أخي.
بعد قليلٍ مِن الصمت، قال: أروى.. خذي لها بعض الفاكهة..
ثم أضاف: وبعض الحلوى..
رفعت كفَّها تخفي بسمةً ارتسمت على ثغرِها وقالت: حاضر أخي. ثم لحقها صوته وهي تمضي إلى المطبخ: وكأساً من العصير.
تحوَّلت البسمة في فمها إلى ضحكة وهي تُحاول أن تتحكَّم بِها، فقالت: أمرك أخي.
تمتم في قرارة نفسه: إنَّه حبُّ الأربعين يا عبد السَّلام، إنَّها المرأة التي أتت كتعويضٍ للقلب المجروح، المرأة التي بمقدورِها أن تشطب كل آلام الماضي جملةً واحِدةً كما لو أنَّها لم تكن.
قبل أن تنتهي العطلة الصيفيَّة بأيَّامٍ، ذهبت غيثاء إلى صديقتها هَناء، وأخبرتها بمشاعِرها نحو عبد السَّلام،
فقالَت: رجل محترم.
قالَت: ما أزال مُحرجة مِن رَوعة، كيف أدخل بيتها، وكانَت صديقتي.
قالَت: هل حصل بينك وبينه كلام عَن الزواج؟
قالَت: نعم، فاتحني، وطلبتُ منه أن يمهلني بعض الوقت.
قالت: لو أنَّ الرجل طلَّق زوجته مِن أجلكِ، لكان الوضعُ مُختَلِفاً، لكن الآن هي مُطلَّقة، ولا أحد بمقدوره أن يؤاخذكِ

حتى رَوعة نفسها، وهي مُختفية منذ أكثر مِن سنة، وحتى أهلها لا يعرفون شيئاً عَنها.
ابتسمت وقالَت: يا لكِ مِن صديقة رائِعة وواقعيَّة يا هَناء، سأصبح جارتك، مَن كان يُصدِّق.
احتضنتها هَناء وقالَت: يا ليت يا غيثاء، أنت لستِ صديقة فقط، أنتِ أخت.

الفصل التاسع

(عودة رَوعة)

أمضت رَوعة فترة السجن، وذات يومٍ سمعت اسمها في مُكبّر الصَّوت ضمن أسماء إخلاء السبيل.
رأت نفسها تودّع السجينات اللواتي عقدت معهن علاقات صداقة، وخرجت مُتَّجهة على الفَور إلى المطار، ولكن هذه المرة بمشاعِر مُختَلِفة.
عندما هبطَت الطائرة في مطار البِلاد، انتابَتها نوبة بُكاء شديدة وأخذت الدموع تنهمر من عينَيها بغزارةٍ، وهي تشعر بأنَّها عادَت من أكبر نَكسةٍ في حياتِها، مِن أفدح خسارةٍ مُنيَتْ بِها، وبدا لها أنَّها تعيش الشيخوخة وهي في الثلاثين.
هكذا فالذي يعود من الغربة إلى بلاده، يعود مُنتَعِشاً، يعود بحيويةٍ عاليةٍ، ويرى مَن يستقبله ويحتفي به.
لكنَّها عادَت ومرارةُ الخَيبة تستبدَّ بِها، وكما أنَّها ذهبت وحيدة لم يودّعها أحد، هاهي تعودُ وحيدة لم يستقبِلها أحد.
وأيَّة خسارةٍ أفدح مِن أن يخسر الإنسانُ عائِلته، يخسر عفَّته، تتحطَّم معنوياتُه.
غدت تتخيَّل رامي وأديبة، وقَد كبرا خمس سنوات، تغيَّرت ملامحهما، تتخيَّل تلك الطقوس العائلية التي كانت تعيشها، تلك

السيادة التي كانَت تُمارِسها وهي تقف على رأس عائِلتِها بعزٍّ وكرامة.
اتَّجَهَت إلى الكراج، ثم انطلقت بالباص عائدةً إلى مدينَتِها، أغمضت عينَيها في محاولة للنوم بَيدَ أنَّها استمرَّت في شرودِها مغمَضة العينَين، غدت تفكّر بكل ما حصل معها، كما لو أن ذلك كله كان حُلماً واستيقظَت منه للتو، شردَت بذاك الرجل الغريب، بكل تصرّفٍ كان يتصرّفه معها، تذكَّرت غالية، وبهجت، وتلك المرأة في الفيلا، تذكَّرَت توفيق، السجينات اللواتي تعرَّفت عليهن في السجن.
ثم تخيَّلَت كم أنَّها كانَت مستقرَّة قبل أن تُسافِر، وكيف أن لقاءً بسيطاً بامرأةٍ لدقائِقَ معدودة في بيت جارتِها، أدَّت بِها إلى كل هذا الطوفان الرهيب الذي أفسدَ عليها كل حياتها، ولوَّثَ حتى عفَّتها بدرجةٍ لم تكن تتخيَّلها من الإذلال والمهانة.
أحسَّت بأن رأسها سينفجر من كثر التفكير، ففتحَت عينَيها، وغدت تنظر من خلف زجاج النافِذة إلى الخارج، تنظر والباص يمضي في كبد الطريقِ كسهم.

* * *

عند وصول الباص إلى المدينة، كم تمنَّت فيما لو ذهبَت إلى بَيتِها وعائِلَتِها بدلاً من العودة إلى بيت أهلِها، كم اشتعل بها

الحنينُ إلى رامي وأديبة، بل وإلى أبيهما، إلى كل ركنٍ، وكل غرضٍ، وكل لمسةٍ من ذاك البَيت.

بدا لها كم كانَت أنانيَّة في إصرارِها على السَّفر عندما حاول أن يمنعها، بدا لها كم أن الإنسان يخسر كل شيءٍ عندما يخسر عائِلته. وبدا لها أنَّها خسرَت كل شيء، تجرَّدَت من كل شيء، وكيف لها أن تضم ابنَيها وقد لوثَّت طهارة الأمومة فيها، كيف لها أن تدنِّس براءة الطفولة فيهما.

طرقت باب البيت وهي منهارة، والدموع تسيلُ من عينَيها بغزارة كما لو أنّها لن تتوقَّف، وقد اعتلَت حنجرتها غصَّة.
بعد قليلٍ فَتَحَت لينا الباب، وفوجئَت بِها، وقد تغيَّرَت ملامحها، انفجرت بالبُكاء وهي ترمي نفسها في حضنها وتقول: رَوعة.. أينَ كنتِ يا رَوعة.. قالَت وهي تنشج بحرقةٍ: اشتقتُ إليكِ يا لينا.. اشتقتُ إليكِ كثيراً.
امتدَّت بِها خطواتُها إلى الداخِل كما لو أنَّها شبح، وقد استبدَّت بِها مشاعِر انكسارٍ داخليٍ.
اتَّجهَت إلى حيثُ أمّها، وما إن رأتها، حتى انفَجَرَ منها بُكاءٌ وراحت تُقبّل يدها، ثم تُقبّل قدمها.
احتضنتها أمّها بحنوٍ وهي تربِتُ على كتفها، وغدت هي الأخرى تنشج.

عندما سألَت عَن أبيها، قالَت لها لينا بأنَّه في غرفته، فأدرَكَت بأنَّه لا يريد أن يراها، لأنَّها عانَدَت زوجها وسافرَت دون موافقته، وتطلَّقَت للمرة الثانية.
فلم تحتمل، وسارعَت إلى غرفته، وفوجِئت بالباب مقفلاً، طَرقَت عليه عدَّة طرقات، ولم يفتح.
صارت تطرق وهي تقول: افتح يا بابا، افتح أرجوك.
عند ذاك تقدَّمَت أمّها مِن الباب وصارت تطرق وتطلب منه أن يفتح.
بعد قليلٍ انفرج شق الباب إثر طرقةٍ من القفل، فدخلَت وراحت على الفور تقبّل يده، ثم قدمه، وترجوه أن يسامحها.
بَيدَ أنَّه لبث جالِساً في موضِعه باستياء يحيد بوجهه عنها.
خرجت من عنده، وراحَت تجلس في الحظيرة الصغيرة التي كان أبوها سابِقاً يربّي فيها نعجَتَين من أجل الاستفادة منهما في الحليب واللبن والجبن والقشدة، وكذلك بيع قسمٍ من اللبن إلى بعض الجوار بشكل يومي لسد بعض احتياجات البيت.
لكن في الآونة الأخيرة ساءت ظروفُه المادّية، فاضطر لبيعِهما، ولم يعد قادراً على شراء ولو نعجة واحدة.

أرادَت لينا أن تمنعها من الجلوس هناك، ولكنها لبثت مصرَّة، وقالَت: هذا هو المكان المناسب الذي أستحق أن أقيم فيه يا أختي.

وعندما رأتها مُصرَّة على قرارِها، أتت بالمقشَّة وصارت تنظّف الأرضية ما أمكنها، ثم جلبت لها إسفنجة ومخدة وغطاء.

لبثَت في عزلتِها دون أن تُكلّم أحداً، ولا أحد يُكلّمها كما لو أنَّها غير موجودة، وامتَنَعت عن الطعام، لكن أختها بعد يومَين استطاعَت أن تُقنِعها بتناول وجبة العشاء، وصارَت تُدخل لها الوجبة كل يومٍ وتخرج، لترى في اليوم التالي بأنَّها لم تأكل إلّا القليل منها.

مع مرور الأيام بدأت تجتاحها آلامٌ شديدة تمتدّ إلى أنحاء جسدها نتيجة آثار الحروق والجروح رغم كل تلك السنوات، فغدت تُصدر أنيناً طوال الليل، وعندما تدخل أختُها كي تطمئنَّ عليها، تراها أحياناً نائمة وهي تئن، وأحياناً يقظة، ولكنّها تخفي عنها سبب تلك الأوجاع التي تُعانيها.

الفصل العاشر

(العين السحريّة)

بعد نحو شهرٍ من عزلتِها، خرَجَت ذات صباحٍ شاحِبةً، واتَّجَهَت إلى بيت جارتها هَناء.
وقفت أمام بابِها، لكنها قبل أن تطرق راحَت تنظر بشوقٍ عارمٍ إلى باب بيتِها وغدت تُقبّله، وما لبثَت أن أعادَت أدراجها إلى بيت هَناء.
رنَّت جرس الباب وهي تُغالِب غصَّة بُكاءٍ، بعد لحظاتٍ فَتَحَت هَناء، وبوغِتَت بِها.
لبثتْ ترمقها بذهولٍ واندَفَعَت تمتمةٌ من حنجرتها: جارَتي العزيزة رَوعة.. وما لثت أن احتضنتها وقالَت: ياه.. كم تغيَّرتِ يا رَوعة.
قالَت: وأنتِ أيضاً تغيَّرتِ كَثيراً يا جارَتي.
انهمرَت دموعٌ من عينَي هَناء، وهي تمسك بيدها وتمضي بها نحو الداخل.
قالَت بأنَّها أتت لتسأل عن رامي وأديبة وتعود.

قالَت: رامي وأديبة بخير يا جارتي، رامي أَصبح في الصفّ الخامس، وأديبة في الصفّ الأوَّل. ثم أردفَت تقول وقد تولَّتها نوبة بُكاء: أديبة تشبهكِ كثيراً يا رَوعة، كلّما أراها أتذكَّركِ.
قالَت: وهو؟
صمتت قليلاً، ثم قالَت: تزوَّج بعد غيابكِ بنحو سنة ونصف، معه حق يا جارتي، كان بحاجة إلى مَن تهتم برعاية الطِفلَين، كانَت أخته تأتي مِن القرية لترعاهما، ولكنَّها كانَت تأتي بشكل مُتقطِّع بين فترة وأُخرى.
ثم أردفَت تقول: جارنا عبد السلام رجل هادئ وطيِّب ولا يتدخَّل في شؤون أحد كعادته، ليت الجيران كلهم كانوا مثله، تزوَّج وأنجبَت زوجته ابنتَين توأم، ولكن الحق يُقال، فهي تهتم برامي وأديبة مثل ابنتَيها.
قالَت: هل هي قريبته مِن القرية؟
ارتبَكَت هَناء دون أن تُجيب، فكرَّرَت السؤال، عندها قالَت: لا، هي غيثاء..
هبَّت واقِفةً على قدَمَيها: ماذا تقولين..؟
قالَت: اجلسي يا رَوعة، الأمر كلّه حصل مُصادَفةً، غيثاء لم تُخطئ، وعبد السَّلام لم يُخطئ.
قالَت: تقصدين أنا مَن أخطأت؟
قالَت: لو لم يتزوَّجها، لتزوَّج غيرها، وربما أساءت لابنكِ وابنتكِ، صدّقيني غيثاء لا تُفرّق بينهما وبين ابنتَيها.

عادت إلى الجلوس على الأريكة وبلَّلَت ريقها الجاف بتناول رشفة ماء وقالَت: سأنتَظر عودتهما من المدرسة.
ثم أردفَت: حافظي على بيتكِ بكل ما تملكين من قوَّة يا هَناء، الذِئاب كثرت من حولِنا، ذِئاب خراب البيوت وتفتيت العائِلات، صدّقيني لا شيء يعوّض خسارة المرأة لعائلتها يا هَناء.

* * *

بعد نحو ساعتَين من الجلوس، نهضت تودّعها بالقبلات، تقدَّمَت من الباب ولبثت تنظر إليه والدموع تنهمر من عينَيها مدراراً، رفعَت سبابتها لترنَّ على الجرس، لكنَّها تردَّدَت وهي تعضَّ شفتها السفلى بحركةٍ لا إرادية، وبعد لحظاتٍ أسبَلَت يدها وراحت تطرق بأناملها على الباب الخشبي بخفوت.
انتظرَت وهي تتوقَّع أنَّه ينظر إليها الآن من خلال العين السحرية، وبعد قليلٍ انَفَرَجَ شقُّ الباب بتؤدَةٍ وهو يُصدر صريراً، لتراه يقف وينظر إليها بدهشة، ثم تمتم: رَوعة..
تأمَّلَته مليّاً وقد تغيَّرَت ملامح وجهه، وبعد صمتٍ لم يطل قالَت: جئتُ يا أبا رامي حتى تسامحني على ما بدر منّي.

نظر إلى وجهها الذابل، وعلت غصَّة إلى حنجرته، اكتظَّت عيناه بالدموع.
أردَفَت بصوتٍ مثقلٍ بالبُكاء: لا أطلب منك أن تُعيدني إلى عصمتك رغم أن هذه هي أمنيتي حتى لو بقيتُ عندكَ خادِمة، لأن كل شيء لي في الحياة هو في هذا البيت، ولا شيء لي خارِجه، لكنَّني لا أستحق أن أكون زوجةً لرجلٍ نقيٍ مثلك، ولا أن أربّي الولد والبنت.
قال: سامَحَنا الله جميعاً.
قالَت: اشتقتُ لرامي وأديبة.
-: أنتِ أمّهما ولك فضل عليهما أكثر من فضلي، ولا أجيز لنفسي أن أقطع ما أوصَلَه رب العالمين.
قالَها وأشارَ لها بالدخول.
مَدَّت خطواتها إلى الداخل والدموع تنهمر من عينيَها، والغصَّة تتثاقَل في حنجرتِها.
عند ذاك لمحَت غيثاء تتقدَّم إليها وتقول: الحمد لله على سلامتكِ يا أستاذتي.
رمقتها بنظرةٍ مِن الأسفل إلى الأعلى ولم تردّ.
لأوَّل مرَّةٍ أحسَّت بمدى مرارة أن بيتها لم يعد بيتها، وأنَّها تدخله كضيفةٍ ثقيلةٍ غير مرغوب بِها.
كل تلك الذكريات كأنَّها لم تكن، كل تلك الطقوس التي كانَت تعيشها في هذا البيت كأنَّها كانَت سراباً.

دلفَت إلى الصالون، فيما اختفى هو واختفَت غيثاء، وبعد قليل رأت رامي يتقدَّم وينظر إليها باستغراب، بدا لها بأنَّه لم يعد يعرفها، بينما وقفت أديبة ولم تكن لتعرفها لولا ملامح الشبه بِها.
أرادَت أن تأخذ رامي في حضنِها، ولكنَّه ابتعد عنها وهو يرمقها بحذر، ثم أرادت أن تحتضن أديبة، ولكنَّها هي الأُخرى ابتعدَت عنها.
في تلك اللحظات ظهرت غيثاء فهرعا إلى حضنها وهما يقولان: ماما غيثاء مَن هذه؟
قالَت: هذه أمّكما، ثم وجَّهت كلامها لرامي: هل نسيتَ أمَّك يا رامي، انظر إليها جيداً.
نظر إليها وكأنَّه بدأ يتذكَّر ملامحها، ثم انفجر بالبُكاء وقال: ماما أينَ كنتِ؟
احتضنته بقوَّةٍ وصارت تملأ وجهه بالقُبلات وهي تنتحب.
قالت متَّجِهةً بكلامها لأديبة: هذه أمّكِ يا أديبة، فتقدَّمت إليها، وعند ذاك أخذتها في حضنِها وضمَّتها إلى صدرِها، ثم غدت تنظر إليها وتقبّلها.

ثم احتضنتهما معاً، وصارت تُقبّلهما وتذرف الدموع، تضمّهما بقوَّةٍ إلى صدرها، تضمّ أغلى وأعز وأقرب كائنَين في العالم إليها.

بعد نحو نصف ساعةٍ تناهى صوتُ غيثاء مِن المطبخ: رامي.. تعال.
قال: حاضر ماما.
وهرع متَّجِهاً إليها، فأعطَته سفرةً عليها صحنٌ من الرز وصدر الدجاج إلى جانب صحنٍ من السلطة، ثم طلبت منه أن يعود ليأخذ سفرةً أخرى عليها فاكِهة وحَلوى.

بدأت تأكل مع الطفلَين وقد أحسَّت بأن شهيتها انفتحَت لأوَّل مرَّةٍ للطعام منذ عودتها من السفر.
بعد قضاء نحو ساعتَين معهما، أشارَت له بأنَّها تُريد أن تَخرج، فأخذ الطفلَين إلى غرفةٍ أُخرى، وبقيت لوحدِها، فأدخَلَت الأواني إلى المطبخ وصارت تجليها، ثم رتَّبَت المطبخ كما كانَت تفعل، وخرجت والغصَّة تزداد تثاقلاً في حنجرتِها، الدموع تنهمر بغزارةٍ من عَينَيها.
فَتَحت الباب كغريبةٍ دون أن يودّعها أحد، وقد تولّاها إحساسٌ بأنَّها طُرِدَتْ مِن بَيتِها بأسلوبٍ مؤدَّبٍ، ومضت تتلكَّأ بخطواتِها

وهي بين خطوةٍ وأخرى تلتفتُ إلى أعزّ مسكنٍ في العالَم بالنسبة إليها.

الفهرس

الفصل الأول (الدفتر)
الفصل الثاني (مكافأة مالية)
الفصل الثالث (غرفة الكتابة)
الفصل الرابع (السفر)
الفصل الخامس (إحساسٌ غريب)
الفصل السادس (أنينٌ خافت)
الفصل السابع (تداعيات الماضي)
الفصل الثامن (غيثاء)
الفصل التاسع (عودة رَوعة)
الفصل العاشر (العين السحريّة)